مقدمة

بقلم الأستاذ حسني إبراهيم جرار[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فمنذ قدمت دولة قطر 1383هـ... وأنا سعيد بمعرفة العالم الكبير والداعية المربي الدكتور يوسف القرضاوي..

عملت معه في المعهد الديني يوم كان عميدًا للمعهد... يربي الشباب منذ نعومة أظفارهم على الإسلام..

وجلست معه في درس الإثنين في عدد من مساجد قطر.. يفقِّه الناس بأمور دينهم، ويصحح مفاهيمهم عن الإسلام...

واستمعت إليه في خطب الجمعة.. يلهب العواطف، وينير العقول، ويغرس في نفوس الشباب والرجال والنساء قيم الإسلام وتعاليمه..

ولازمته في شهر رمضان من كل عام.. يصلي بالناس التراويح، فيشعرون بمتعة التلاوة، وخشوع العبادة، وفقه الدرس..

ورأيته محاضرًا في الندوات العلمية والثقافية في قطر وفي غيرها.. يهدي الناس إلى الحق، ويعرفهم مواطن الخير، ويبصِّرهم بالطريق السوي..

---

(1) هو أول من جمع قصائد هذا الديوان من مظانها، ثم أضيفت إليه قصائد أخرى.

تابعته مسافرًا يجوب البلاد الإسلامية وغيرها من الأقطار.. لا يكاد يعود من سفر حتى يشرع في سفر آخر.. يرهق نفسه ويتحمل وعثاء السفر..

يحضر المؤتمرات، ويعقد الندوات، ويقدم لأمته الرأي السديد، والفكر الرشيد..

شاهدت عامة الناس ينزلون على فتواه، ورجال الفكر يجتمعون على رأيه..

قرأت مجموعة من كتبه فوجدت فيها دقة العالم، وإشراقة الأديب، وحرارة الداعية..

استمعت لمقتطفات من شعره.. يحفظها عدد من الإخوة المصريين منذ الخمسينيات.. فسمعت شعرًا كل بيت فيه ينبض بحرارة الإيمان..

واطلعت على مجموعة من قصائده، فوجدت أدبًا حيًّا في مضمون سامٍ ونغم فريد..

كتبت عن أناشيده في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» وكتبت عن شعره في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث»، وقدمت له في شعراء الدعوة قصيدتين لا تكاد ترى مثيلًا لهما في الشعر المعاصر..

هذا العالم الجليل عرفه الناس خطيبًا ومحاضرًا.. وعرفوه كاتبًا ومؤلفًا.. وعرفوه داعية ومربيًا، وفقيهًا ومفتيًا.. ولكن قليلًا من الناس عرفه شاعرًا، مع أنه بدأ حياته وعرف بين زملائه وإخوانه بالقرضاوي الشاعر..

لقد نظم القرضاوي شعرًا كثيرًا.. سجل فيه أحداث أمته، وصور أفكارها

ومشاعرها أصدق تصوير.. ولو جمع هذا الشعر لكون ديوانًا ضخمًا، ولكن ذهب أكثره في دوامة المحن المتلاحقة التي أصابت دعاة الإسلام، فكان الأقارب والأصدقاء يتخلصون مما عندهم منه خشية أن يصيبهم مكروه من جراء وجوده عندهم، ولهذه الأسباب لم يبق منه إلا القليل، وهذا القليل الباقي هو الذي نعرض على القارئ في هذا الكتاب، أو هذا الديوان.

وبعد أن اشتركت مع أخي وزميلي الأستاذ أحمد الجدع في إخراج سلسلة «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».. بدأنا نفكر في جمع أشعار عدد من هؤلاء الدعاة؛ لتحفظ من الضياع، ولتكون زادًا للشباب المسلم في طريق الدعوة إلى الله..

وكان أول شعر بدأت به شعر أستاذنا وأستاذ الجيل المعاصر الدكتور يوسف القرضاوي.

إن هذا الشعر الحي لا بد أن يجمع، ولا بد أن يخرج في كتاب؛ لأنه يمثل تاريخ دعوة، ويحكي قصة شعب، ويدافع عن كرامة أمة.. إنه أدب هادف وذخيرة من ذخائر الأدب الإسلامي المعاصر..

يقول شاعر الإسلام الكبير الشهيد محمد محمود الزبيري: «أرى أن واجب الأدب العربي المعاصر يحتم على من يكتشف ذخائر من الأدب الحي الذي يستحق الخلود أن يقدمه إلى التاريخ، وأن يعلنه للناس، وأن يبشر به عشاق الأدب».

وبعد أن اكتشفت هذه الذخائر بدأت في تسجيلها، وأخذت أبحث عن شعر الدكتور القرضاوي عند من يحفظون شيئًا منه، وفي المجلات القديمة كمجلة

الدعوة ومجلة المباحث القضائية في القاهرة، والمجلات الحديثة كمجلة الحق التي كان يصدرها المعهد الديني في قطر، ومجلة حضارة الإسلام الدمشقية، وغيرها من المجلات الإسلامية.

وجلست مع الشاعر مرات عدة سجلت فيها ما يحفظ من شعره، وأخذت ما بقي عنده من أوراق مكتوب عليها بعض قصائده..

وتمكنت -بعون الله- من الحصول على مجموعة القصائد والأناشيد التي يحويها هذا الديوان. وسأواصل البحث عما بقي من هذه الذخائر الأدبية لأثبتها في طبعات قادمة -إن شاء الله تعالى.

خطة الكتاب:

قسمت العمل في هذا الكتاب إلى الأقسام الثلاثة التالية:

القسم الأول: حياة الشاعر وشعره..

كتبت فيه عن حياة الشاعر، وعن الشخصيات التي أثرت في حياته، وعن الأحداث التي عاصرها، وأعماله الرسمية التي مارسها، ونشاطه في خدمة الدعوة، ونشاطه في تأليف الكتب، ونشاطه في الشعر، والأغراض الشعرية التي طرقها في شعره، ثم عن تحوله من الشعر إلى الفقه والدعوة.

القسم الثاني: القصائد..

دونت في هذا القسم خمس عشرة قصيدة للشاعر رتبتها حسب تاريخ نظمها، وقمت بكتابة تقديم لكل قصيدة ذكرت فيها موضوع القصيدة، والمناسبة التي قيلت فيها، وتاريخ نظمها، والمكان الذي نظمت فيه.. كما ذكرت أسماء الكتب والمجلات التي نشرتها إن كانت قد نشرت من قبل. وفي

النهاية أثبت عدد أبيات القصيدة.

القسم الثالث: الأناشيد..

دونت في هذا القسم ستة أناشيد للشاعر رتبتها أيضًا حسب تاريخ نظمها، وقمت بكتابة تقديم لكل نشيد ذكرت فيه تاريخ نظم النشيد، ومناسبته، والكتب والمجلات التي نشرته.

وبعد، فإني أرجو الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه وابتغاء مرضاته.. إنه سميع مجيب..

والحمد لله أولًا وآخرًا.

حسني أدهم جرار

الدوحة في غرة شوال 1405هـ

* * *

حياة الشاعر وشعره

حياة الشاعر.

شخصيات أثرت في حياته.

الأحداث التي عاصرها.

أعماله الرسمية.

نشاطه في خدمة الدعوة.

نشاطه في تأليف الكتب.

نشاطه في الشعر.

شاعريته وميزات شعره.

الأغراض الشعرية في شعره.

بين الفقه والشعر.

حياة الشاعر

ولد الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي عام 1926م في قرية «صفط تراب» التابعة لمركز المحلة الكبرى، من أعمال محافظة الغربية بمصر، ونشأ في أسرة متدينة رقيقة الحال يشتغل أفرادها بالزراعة، وانتقل والده إلى رحمة الله تعالى وهو في الثانية من عمره، فكفله عمه، وأحاطه من الرعاية بما يفتقد لدى الكثير من الآباء. ووجد في أبناء هذا العم الفاضل خير ما يلقاه أخ من إخوته البررة، فنشأ في جو من الحنان والرعاية كان فيه يعتبر العم أبًا وأبناء العم إخوة، واتسعت دائرة هذا العطف حوله حتى أصبح موضع رعاية من سائر أقاربه.. فكان هذا تعويضًا عن يتمه المبكر.

وفي الخامسة من عمره تم إلحاقه بأحد كتاتيب القرية الأربعة ليحفظ القرآن الكريم، ولما وافته السابعة أدخل المدرسة الإلزامية التابعة لوزارة المعارف ليتلقى فيها المعارف العصرية: كالحساب والتقويم والتاريخ والصحة وغيرها، فكان يجمع بين الكتاب والمدرسة، هذا في فترة الصباح وتلك في فترة المساء.

وقبل أن يبلغ العاشرة أكرمه الله فأتم حفظ القرآن الكريم حفظًا لا يكاد يضيع منه حرفًا مع الإلمام بأحكام التجويد.. وأقيم له بهذه المناسبة الطيبة حفل متواضع في الكتاب، حيث وزعت الحلوى والشربات وأطلقت الزغاريد، وقرأ فيه آخر لوح من المصحف كتبه بيده من سورة «الضحى» إلى سورة «الناس»، وكان يتلو كل سورة ثم يهلل بعدها ويكبر: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد. والتلاميذ يكبرون معه، فكان حفلًا بهيجًا يتطلع إليه كل

تلميذ في الكتاب.. ومن يومها أصبح في نظر أهل قريته «الشيخ يوسف»، وبسبب ما من الله عليه من حسن التلاوة كثيرًا ما كانوا يقدمونه ليؤمهم في الصلاة، وبخاصة الصلاة الجهرية، وذلك تأثرًا بما يتقن من تلاوة، وما يزين هذه التلاوة من نغمة توجه المشاعر الخاشعة إلى مضامين الآيات القرآنية. وهذا التشييخ المبكر حرمه فرص اللعب التي يستمتع بها أقرانه من الصبية، وأعطاه الحصانة التي حفظت عليه شبابه، والوقار الذي لازمه طيلة حياته.

وعاش الشيخ يوسف حياة إسلامية هنيئة في جو ريفي جميل، يحمل في ثناياه عبير الحب والتعاون والصفاء.. عاش مع أبناء قريته يقبسون من نور القرآن، ويقبلون على تلاوته، ويتنافسون في حفظه..

وفي أعقاب تخرجه من المدرسة الإلزامية كان لا بد لأهله من أن يختاروا له الطريق الذي سيسلكه في الحياة.. ولم يكن أحب إليه من متابعة طريق العلم الذي اجتاز مرحلته الأولى، فكان يتحرق شوقًا إلى اليوم الذي يصبح فيه عالمًا.. إلا أن عمه لم يكن على مثل رأيه، فهو على الرغم من حبه للعلم وحرصه على تشجيع ربيبه الذكي.. كان يرى أن طريق العلم طويل طويل، ومع طوله لا يضمن لصاحبه العيش المنشود، هذا فضلًا عما يتطلب من نفقة تضيق عنها قدرتهم، ولهذا حاول إقناعه بتعلم حرفة توفر له وسائل العيش من أقرب طريق. غير أن رغبة الفتى كانت أقوى من حجة عمه، فما زال يحاوره في ذلك حتى شرح الله صدر عمه لتحقيق أمنيته، وساعده في ذلك أبناء عمه الذين أعلنوا استعدادهم للتضحية بكل شيء في سبيل تعليمه.

وهكذا يسر الله له طريق العلم، فالتحق أولًا بمعهد طنطا الديني الابتدائي، حيث قضى أربع سنوات، انتقل بعدها إلى معهدها الثانوي الذي استمر فيه

خمس سنوات، ومن ثم رحل إلى القاهرة للدراسة العليا في الكليات، حيث التحق بكلية أصول الدين، وحصل منها على الشهادة العالية سنة 52-1953م، وكان ترتيبه الأول على دفعته، ثم التحق بتخصص التدريس بكلية اللغة العربية، فحصل على العالمية مع إجازة التدريس حائزًا المرتبة الأولى على خمسمئة طالب من كليات الأزهر الثلاث، ثم التحق في عام 1957م بمعهد البحوث والدراسات العربية العالية التابعة لجامعة الدول العربية، فحصل منه على دبلوم عال في شعبة اللغة والآداب.

وفي هذه الفترة نفسها كان التحاقه بقسم الدراسات العليا في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، فأتم سنواتها الثلاث بنجاح عام 1960م على الرغم من صعوبة الامتحانات التي لم يثبت لها أحد سواه بعد السنة الأولى. ومن ثم شرع في إعداد أطروحته للدكتوراه عن «الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية» التي كان مقررًا أن ينتهي منها خلال سنتين، إلا أن أقدارًا غالبةً حالت دون رغبته، وجاء عهد الأحداث الرهيبة في مصر فأخَّرت موعد حصوله على الدكتوراه إلى ما بعد ثلاثة عشر عامًا، حيث حصل عليها عام 1973م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من الكلية نفسها.

شخصيات أثرت في حياته:

تأثر الشيخ القرضاوي في مستهل حياته بمدرسة الإخوان وشخصياتها البارزة. وكانت أعظم شخصية تأثر بها في حياته الفكرية والروحية هي شخصية الإمام الشهيد «حسن البنا»، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين...

يقول الشيخ القرضاوي عن إمامه: «إن أعظم الشخصيات أثرًا في حياتي الفكرية والروحية هي شخصية الشهيد العظيم حسن البنا، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة... هذا مع أنني لم أعايشه كما عايشه غيري، فقد كان رضي الله عنه في القاهرة، وكنت في طنطا طالبًا، ولكني استمعت إليه في طنطا عدة مرات، ورحلت وراءه إلى بعض البلاد لأراه وأستمع إليه، كما قرأتُ تقريبًا كل ما كتبه من رسائل ومقالات»..

ويصف الشيخ انطباعاته عن الإمام البنا فيقول: «كان رحمه الله في حديثه إذا تحدث، وفي كتاباته إذا كتب، يمثل السهل الممتنع، ويؤثر في العقل والقلب معًا، فهو معلم وواعظ بالفطرة الموهوبة والدربة المكتسبة جميعًا. أذكر أني استمعت إليه وأنا طالب في السنة الأولى من معهد طنطا الابتدائي يتحدث بمناسبة الهجرة النبوية، فوعيت كلامه على صغر سني، وأكاد أحفظه من ذلك اليوم. كان واسع المعرفة، غزير المادة، أخرج مجلة «الشهاب» الشهرية، وكان يحرر جل أبوابها بقلمه، فهو يكتب في التفسير والعقائد ومصطلح الحديث والتاريخ الإسلامي، وفي أصول الإسلام كنظام اجتماعي.. كل ذلك بإجادة وأصالة رغم أنه لم يكن متفرغًا للعلم والبحث، فقد كانت الدعوة ومتطلباتها تستغرق معظم وقته. ولذلك كان من وصاياه: «الواجبات أكثر من الأوقات، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته»»..

لقد تأثَّر القرضاوي بالإمام البنا كاتبًا ومحدثًا وعالمًا وواعظًا وبليغًا، ومربيًا للشباب والأجيال.. وكما تأثر بإمام الدعوة وقائدها فقد تأثَّر أيضًا بعدد من علماء الإخوان المسلمين أمثال: الشيخ محمد الغزالي، والشيخ البهي الخولي، وكان تأثره بهذه المدرسة أقوى من تأثره بالدراسة الرسمية في

الأزهر ومشايخه، على الرغم مما له ولهم من فضل لا يُنكر في تكوينه العلمي. ومن الشخصيات الأزهرية التي كان لها أثر في نفسه: المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز؛ لما كان يتمتع به من أصالة تفكير، وفصاحة بيان، وقوة في الخلق والدين. وكذلك الشيخ محمود شلتوت، والدكتور عبد الحليم محمود..

وتأثر أيضًا بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والشيخ محمد رشيد رضا..

والذي يستمع إلى محاضرات الدكتور القرضاوي أو يطلع على مؤلفاته العديدة يرى أن إعجابه برواد الفكر الإسلامي من هذه الشخصيات الإسلامية الذين تركوا أثرًا في توجيهه.. لم يجعله يُقلد أحدًا منهم أو يتقمص شخصيته، ولكنه انتفع بمختلف المدارس الفكرية التي عرفتها حضارة الإسلام.. وجاءت كتاباته تحمل روح التنقيب والاجتهاد والإبداع.

ويجدر بنا ونحن نتكلم عن المؤثرات في تكوين شخصية الدكتور القرضاوي ألا نغفل المؤثرات الروحية والتربوية التي أفاد منها في نشأته الأولى في القرية الهادئة الوادعة والبيت الكريم الذي رعاه ورباه على الخلق الإسلامي الأصيل.

الأحداث التي عاصرها:

عاصر الدكتور القرضاوي أحداثًا في غاية العظم والأهمية.. عاصر الحرب العالمية الثانية، والاستعمار الإنجليزي لمصر، وحرب القناة، وحرب فلسطين ووقوع النكبة الأولى 1948م، وقيام دولة إسرائيل، ووقوع نكبة

1967م التي احتلت إسرائيل فيها القنطرة والقنيطرة، وسقطت القدس والمسجد الأقصى في يد اليهود..

ولم يكن القرضاوي في عزلة عن هذه الأحداث، فقد شارك فيها –منذ كان طالبًا في الابتدائي- بقلبه وأعصابه وعلمه ولسانه.. نظم القصائد، وألقى الخطب، وحرض جماهير الطلاب على المظاهرات ضد الظلم والظالمين، وكان مسئولًا عن طلاب الحركة الإسلامية بكلية أصول الدين وكليات الأزهر الأخرى، وكان عضوًا في الهيئة المسئولة عن كتائب الأزهر في حرب القناة ضد الإنجليز. وطاف القطر المصري من أسوان إلى رشيد والإسكندرية داعيًا إلى الله، وطاف عددًا من البلدان العربية والإسلامية لنفس الغاية.

ولعل الشيء الذي جعله على صلة عميقة وحية ومباشرة بأحداث بلده ووطنه العربي والإسلامي هو: الاتصال المبكر بحركة الإخوان المسلمين.. فقد نقلته من جو الشعر والأدب الذي كان هوايته، إلى جو الدعوة العامة إلى الإسلام، ومن طريق الوعظ العام والتدين الفردي، إلى أفق الحركة الإيجابية الشاملة، التي تعمل على خلق تيار إسلامي عام، وتكوين جيل يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، ويؤمن به، ويجاهد في سبيله.

وكان من ثمرات هذا الاتصال أن: صحح فهمه للإسلام ورسالته في الحياة، وواجب دعاته في هذا العصر نحو وطنهم الصغير، ووطنهم الإسلامي الكبير.. وأصبح مهتمًّا بأمر المسلمين جميعًا، وبقضايا الإسلام الكبرى، وبمؤامرات أعداء الإسلام، ووسائلهم في الغزو والتدمير..

وحدد هدفه من الحياة ورسالته فيها، وهي الدعوة إلى الإسلام كله عقيدة وشريعة وديناً ودولة وحضارة وأمة.

وقد أدَّى انتماؤه إلى دعوة الإخوان المسلمين وجهاده في سبيل الإسلام إلى اعتقاله عدة مرات: أولها: اعتقاله سنة 1949م نحو عشرة أشهر في عهد الملك فاروق، وقد كان طالبًا في السنة الخامسة الثانوية. وقد ضاع عليه امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية، ثم شاء الله أن يدرك الدور الثاني بعد الإفراج عنه عقب سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي، وكان من إكرام الله وتعويضه له أن حصل على الترتيب الثاني بين الناجحين في الدورين من طلاب المعاهد الثانوية الأزهرية على مستوى القطر المصري. وكان اعتقاله الثاني في 2 يناير 1954م، ولمدة شهرين ونصف في عهد الثورة، ثم في نوفمبر 1954م ولمدة عشرين شهرًا تقريبًا، ثم في يونيو 1962م نحو خمسين يومًا قضاها في سجن انفرادي في مبنى مخابرات الثورة، وكان بجواره في الاعتقال صديق عمره ورفيقه في الدعوة والجهاد الداعية الكريم الدكتور أحمد العسال.

وبعد أن خرج القرضاوي من المعتقل سنة 1956م، حرمت عليه حكومة الثورة أن يتصل بالجماهير عن طريق الخطابة والتدريس، فلم يجد أمامه إلا القلم يخاطب به الناس، في صورة مقالات في مجلة منبر الإسلام ومجلة الأزهر، وفي صورة كتب كان أولها كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»، وتلته مجموعات من الكتب والأبحاث في مجالات شتى.. ودفعه هذا إلى التفرغ للبحث العلمي والكتابة.

أعماله الرسمية:

عمل الدكتور القرضاوي سنة 1956م بمراقبة الشئون الدينية بوزارة الأوقاف المصرية بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفًا على معهد الأئمة. وفي سنة 1959م نقل إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد، فشارك في توجيه المكتب الفني، وتولي الردود على الشبهات التي تثيرها الصحافة وغيرها حول الإسلام.

وفي سنة 1961م أعير إلى دولة قطر، عميدًا لمعهدها الديني الثانوي، فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد والأسس العلمية والتربوية وأحدثها، حتى أصبح المعهد مثلًا يحتذى في المنطقة كلها، وأصبح منارًا يؤمه طلبة العلم من شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي..

وفي سنة 1973م أنشئت كلية التربية نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

وفي سنة 1977م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، إضافة إلى عمله كعميد للكلية.

نشاطه في خدمة الدعوة:

الدكتور القرضاوي عَلَمٌ بارز بين رجال الفكر الإسلامي المعاصر، ورائد من رواد الحركة الإسلامية ورعاتها، أمضى أيامه ولياليه مجاهدًا من أجل الإسلام.. امتاز بدقة العالم وإشراقة الأديب وحرارة الداعية، فهو من

المفكرين الإسلاميين الذين يمتازون بالاعتدال، ويجمعون بين محكمات الشرع ومتطلبات العصر..

شارك في العمل الإسلامي.. خطيبًا ومحاضرًا.. كاتبًا ومؤلفًا.. داعية ومربيًا.. مفكرًا ومخططًا.. واتخذ نشاطه لخدمة الإسلام صورًا عدة، منها:

1- في المجال الجامعي:

حيث يعمل أستاذًا وعميدًا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وذلك بعد أن عمل اثنتي عشرة سنة مديرًا لمعهد قطر الديني الثانوي، فأرسى بنيانه على قواعد جعلته نسيج وحده، وأصبح مثلًا يحتذى في الجمع بين القديم والحديث، وتقريب علوم الدين والعربية وتيسيرهما، إلى جوار علوم العصر، بحيث لا يحتاج إلى سنين أكثر من سني التعليم العام. ويعمل الدكتور القرضاوي مديرًا لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، إضافة إلى عمله كعميد لكلية الشريعة.

2- في الميدان الشعبي:

عن طريق الخطابة والوعظ وإلقاء الدروس في المساجد.. فالشيخ القرضاوي كان يخطب الجمعة في عدد من مساجد قطر، ولا زال مستمرًّا على هذا في مسجد عمر بن الخطاب.. كما أن له درس الإثنين في المسجد نفسه بعد صلاة العشاء من كل أسبوع.. وهذا الشيخ الذي بدأت حياته العلمية في كُتَّاب القرآن.. استمرت خطاه في الاتجاه نفسه، فهو لا يفارق سبيل القرآن الذي حمل أمانته منذ الطفولة.. وكم يشعر الناس بالمتعة والخشوع بصلاة التراويح وراءه في شهر رمضان المبارك، حيث يقرأ جزءًا من القرآن كل

ليلة، ويُعطي درسًا حول هذه القراءة.

3- في المجال الإعلامي:

عن طريق البرامج التي يقدمها في الإذاعة والتلفزيون، حيث يقوم بالفتوى والرد على أسئلة المواطنين في قطر ومنطقة الخليج، منذ إنشاء إذاعة قطر وتلفزيونها إلى اليوم، في برنامجين أسبوعيين ثابتين، وهما يمثلان مدرسة فكرية وفقهية لها تلاميذها وجمهورها الذي يترقبها كل جمعة على طول أرض الخليج والجزيرة وعرضها. هذا عدا برامج توجيهية أخرى يقدمها بين حين وآخر، وبخاصة في شهر رمضان.

4- المحاضرات:

التي يُدعَى لإلقائها بتكليف من الجامعات والجمعيات والأندية والمؤسسات الثقافية وغيرها في بلاد العرب والإسلام، وأحيانًا خارج العالم الإسلامي.. ولقد زار عددًا كبيرًا من البلدان والتجمعات الإسلامية في آسيا وأفريقيا، والجاليات الإسلامية في أوربا وأمريكا وكندا وبلاد الشرق الأقصى، وكان له فيها جميعًا محاضرات وندوات ولقاءات تركت أثرًا طيبًا، ولا سيما بين الشباب.

5- المشاركة في المؤتمرات والندوات:

الدكتور القرضاوي شخصية بارزة في مجال الدعوة والفكر الإسلامي، وآراؤه تتمتع باحترام رجال الفكر الإسلامي.. وقلَّما تخلو من حضوره الندوات العالمية التي تُبحث فيها قضايا الإسلام والمسلمين.. لقد شارك في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية والعلمية، نذكر منها على سبيل

المثال لا الحصر:

ندوة «التشريع الإسلامي» في ليبيا، «والمؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي» في مكة المكرمة، ومؤتمر «الفقه الإسلامي» بالرياض، ومؤتمر «الدعوة والدعاة» بالمدينة المنورة، وندوة «الإسلام والمستشرقون»، و«المهرجان التعليمي» لندوة العلماء بالهند، ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ومؤتمرات السيرة والسنة بالدوحة والقاهرة وغيرها، ومؤتمرات المصارف الإسلامية في دبي، وفي الكويت، وفي استانبول، وغيرها، وندوة «الاقتصاد الإسلامي في مجال التطبيق» في أبو ظبي، وندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت: «الإنجاب في ضوء الإسلام»، و«بداية الحياة ونهايتها»، وغيرها، وملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، ومؤتمرات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، ومؤتمرات اتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وغيرها..

وقدم لهذه المؤتمرات والندوات بحوثًا علمية كانت موضع تقدير المؤتمرين.

6- نشر المقالات والبحوث:

حيث قام بنشر المقالات والبحوث في مختلف المجلات الإسلامية والعربية، نذكر منها: «الأزهر» و«نور الإسلام» و«منبر الإسلام» و«الدعوة» و«لواء الإسلام» في مصر، و«حضارة الإسلام» بدمشق، و«الوعي الإسلامي» و«المجتمع» و«العربي» بالكويت، و«الشهاب» ببيروت، و«البعث الإسلامي» بالهند، و«الدعوة» بالرياض، و«الأمة»

و«الدوحة» في قطر، و«منار الإسلام» في أبو ظبي، و«المسلم المعاصر» في لبنان، وغيرها. كما نشرت له الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية في كثير من البلدان العربية والإسلامية مقابلات أجاب فيها عن كثير من الأسئلة التي تهم القراء في القضايا الإسلامية.

7- تأليف الكتب في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية.

8- الدعوة لتأسيس هيئة خيرية إسلامية عالمية لرعاية ودعم المسلمين في العالم:

فالدكتور القرضاوي من أصحاب الهمم العالية في الميدان الإسلامي، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واستجابوا لنداء الواجب الإسلامي والإنساني.. ولقد تمثلت فكرته في إنشاء هيئة خيرية إسلامية عالمية، مهمتها مد يد العون للمسلمين في العالم كله، ماديًّا ومعنويًّا؛ إنقاذًا للمسلمين من حملات التبشير والتنصير، وتخليصًا لهم من براثن الجوع والفقر والمرض، تطبيقًا لما يُمليه علينا ديننا الإسلامي..

وانعقد في الكويت الاجتماع التحضيري الأول لمؤتمر الهيئة الخيرية الإسلامية الذي شارك فيه 153 داعية من رجال الفكر والعلم من خمسين قطرًا من العالم الإسلامي وأوربا وأمريكا واليابان، استجابةً لنداء فضيلة الدكتور القرضاوي الذي دعا إلى تكوين هذه الهيئة؛ لتقف أمام التحديات والتيارات الكنسية واليهودية التي تتخذ من حاجة المسلمين ذريعةً إلى تحريف عقيدتهم وصرفهم عن الإسلام..

لقد ضرب الشيخ القرضاوي أروع مثل في جهده وبذله، فاجتمعت عليه

القلوب، والتقت عليه الأيدي، وهوت إليه الأفئدة ملبية نداءه ودعوته، وكان من ثمرة عمله المبارك وما ألقاه الله في قلوب المسلمين له من حب وتكريم هذه الهيئة التي كانت حلمًا فأصبحت حقيقة..

إن كلمته الطيبة التي خرجت من قلب مخلص يتقد بحرارة الإيمان، ويتحرق حسرة على ضياع وشتات المسلمين.. قد نفذت إلى قلوب المخلصين من رجال الإسلام؛ فهبوا يلبون النداء، ويترجمون الفكرة الواعية إلى عمل جاد.

9- القيام بعدد من الأعمال الأخرى:

فهو عضو المجلس الأعلى للتربية في قطر، ونائب رئيس الهيئة العليا للفتوى والرقابة الشرعية للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي، ولمصرف فيصل الإسلامي بالبحرين، وعضو الهيئة لدار المال الإسلامي، وعضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ومركزها الخرطوم، ومستشار شرعي لعدد من المؤسسات المالية والاقتصادية التي تتعامل وفق أحكام الشريعة، وعضو المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي.

نشاطه في تأليف الكتب:

ألَّف الدكتور القرضاوي مجموعةً كبيرةً من الكتب في مختلف جوانب الدراسات الإسلامية، أصيلة في بابها، تلقاها أهل العلم في العالم الإسلامي بالقبول والثناء.. طبع أكثرها عدة مرات، وترجم عدد منها إلى جملة من لغات العالم الإسلامي، وفيما يلي بيان بتلك الكتب:

1- «قطوف دانية من الكتاب والسنة»، عام 1951م، وقد طبع مرتين.

2- «الحلال والحرام في الإسلام»، عام 1960م، وقد ألفه بتكليف من مشيخة الأزهر، وقد طبع الكتاب تسع عشرة مرة بالعربية، كما ترجم إلى التركية والأوردية والأندونيسية والماليبارية والإنجليزية. وقال عنه الأستاذ مصطفى الزرقا: «إن اقتناءه واجب على كل أسرة مسلمة».

3- «العبادة في الإسلام»، عام 1961م، وطبع عدة مرات.

4- «الناس والحق»، عام 1966م، طبع عدة مرات، وترجم إلى التركية والفارسية.

5- «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، عام 1967م، طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والماليبارية والتركية والفارسية.

6- «الإيمان والحياة»، طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والأندونيسية والتركية والفارسية.

7- «فقه الزكاة»: في جزءين كبيرين، عام 1969م، وهو دراسة مقارنة لأحكام الزكاة وآثارها في إصلاح المجتمع في ضوء القرآن والسنة.

وقد شهد المختصون أنه لم يؤلف مثله في موضوعه في التراث الإسلامي..

قال عنه العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله: «إنه كتاب هذا القرن في الفقه الإسلامي»، نقله عنه الأستاذ خليل الحامدي..

وقال عنه الأستاذ محمد المبارك في مقدمة كتابه عن «الاقتصاد في نظام

الإسلام»: «هو موسوعة فقهية في الزكاة، استوعبت مسائلها القديمة والحديثة وأحكامها النصية والاجتهادية على جميع المذاهب المعروفة المدونة.. مع نظرات تحليلية عميقة، وهو عمل تنوء بمثله المجامع الفقهية، ويعتبر حدثًا مهمًّا في التأليف الفقهي. وقد ترجم إلى الأوردية، والتركية، والأندونيسية، والإنجليزية.

8- «شريعة الإسلام: خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان»، طبع عام 1973م.

9- «الخصائص العامة للإسلام»، طبع عام 1977م.

10- «درس النكبة الثانية»، ألف عام 1969م.

11- «عالم وطاغية» مسرحية تاريخية، عام 1966م، وترجمت إلى التركية.

12- «فتاوى معاصرة».

13- «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، عام 1977م.

14- «الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا»، عام 1971م، وقد ترجم إلى التركية.

15- «الحل الإسلامي فريضة وضرورة»، عام 1974م.

16- «الخصائص العامة للإسلام».

17- «الصبر في القرآن».

18- «ثقافة الداعية»، ترجم إلى الأوردية والفارسية.

19- «التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا».

20- «وجود الله».

21- «حقيقة التوحيد»، ترجم إلى اللغة السواحلية.

22- «نساء مؤمنات».

23- «الدين في عصر العلم».

24- «ظاهرة الغلو في التكفير».

25- «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» -الكتاب الثاني لمجلة «الأمة» القطرية، وقد ترجم إلى الأوردية وبعض اللغات الهندية.

26- «الرسول والعلم».

27- «الوقت في حياة المسلم».

28- «بيع المرابحة للآمر بالشراء».

29- «رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد».

30- «جيل النصر المنشود».

31- «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية».

32- «أين الخلل؟».

33- «عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية».

34- «الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد».

35- «الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه».

كتب بالاشتراك:

شارك في تأليف أكثر من عشرين كتابًا مدرسيًّا في: الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والتربية والبحوث الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وفلسفة الأخلاق، وقد قررت وزارة التربية والتعليم في دولة قطر تلك الكتب في مدارسها المختلفة.

نشاطه في الشعر:

الدكتور القرضاوي أديب معاصر، وشاعر إسلامي من شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث الذين عايشوا الحركة الإسلامية في صميم جهادها وتفاعلوا معها، ورافقوها في طريقها الطويل المحفوف بالمكاره والمحن..

شاعر نظم قصائد وأناشيد رددها دعاة الإسلام، وتربَّت عليها الأجيال.. شَدَت بها الألسن، وهَفَت إليها الأنفس، فأيقظت القلوب بالإيمان، وأشعلت الأرواح بالجهاد، وغدت نشيدًا للشباب المعتصم بالله، الحامل لواء الحق، السائر على درب الكفاح.

شاعريته وميزات شعره:

نشأ القرضاوي منذ صغره مفطورًا على الفصاحة، وشبَّ على حب العربية وآدابها، وعُرف بين الناس بقدرة فائقة في علومها، وإنشاء الشعر في عهد مبكر، فقد اشتهر به منذ كان طالبًا بالمعاهد الأزهرية..

وكانت أول محاولة للتأليف عنده «مسرحية شعرية» عنوانها «يوسف

الصديق»، ترسَّم فيها خُطى أمير الشعراء أحمد شوقي في «مجنون ليلى» و«مصرع كليوباترا». وكان وقتها طالبًا بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية.

ولا شك أن نشأته الريفية ودراسته في الأزهر وارتباطه بالحركة الإسلامية في مصر قد مكَّن للثقافة العربية الأصيلة في نفسه.. ومن أجل ذلك جاء شعره نقي العبارة، جميل الصورة، فصيح الأسلوب، عذب البيان، قوي النسج.. ينبض بحرارة الإيمان، وأصالة الفكر، وحرقة العمل..

شعره شعر صادق منبثق من الواقع.. فكرة، وتجربة، وأسلوبًا.. شعر يحمل معاناة إنسانية من خلال المفاهيم والتصورات الإسلامية.. شعر يتحدث عن آلام الناس، ويدعو إلى إزالة المظالم، وإصلاح الفساد.. شعر يتحرك في إطار الإسلام، ويلتزم المنهج الإسلامي.. إنه شعر دعوة في كل قصيدة من قصائده، بل وفي كل بيت من أبيات القصيدة.. إنه زاد من زاد الدعاة، وأداة تحمل من الطاقات كل عجيب..

ومن ميزات شعره: السلاسة والتدفق، والصدق في الإحساس والتصوير، والأسلوب القصصي، والالتزام بعقيدة التوحيد وبالفكر الإسلامي الذي يبدو الاعتزاز به والانتماء إليه في كل قصيدة من قصائده.. فهو يعتقد أن الإسلام حيثما حلَّ ملازم للتحرر والتحرير.. يحرر الأرض من العدوان، والإنسان من الطغيان، وهو السبيل الوحيد لتحرير الأرض المغتصبة والأوطان المسلوبة.

والقرضاوي شاعر عبقري البيان، صادق العاطفة والإحساس.. ذو خيال خصب، وموهبة عميقة، وأداء جميل، وتوفيق كامل ومؤثر في رسم الصور

والمشاعر.. تبدو في شعره سلاسة العرض، وفصاحة الأسلوب، وطول النفس.. وتتجلى فيه روح صاحبه: رجل العلم والفكر والدعوة..

وقد اشتهر بقصائده الطوال الفريدة من نوعها موضوعًا وحجمًا، مما يدل على طبع سخي، وشاعرية فياضة، مما يجعله مؤهلًا للقصة والملحمة.

الأغراض الشعرية في شعره:

للقرضاوي شعر في معظم أغراض الشعر ومجالاته:

- له في التأمل: كقصيدة: السعادة، وقصيدة مناجاة القبر التي نظمها في العقد الثاني من عمره، ومطلعها:

حنانيك ماذا في حناياك يا قبر؟ بربك خبِّر قبل أن يُفدحَ الخَبْرُ!!

فيا ليت شعري: ما تُكنّ ليوسفَ؟ أروحٌ وريحانٌ أم النار والجمرُ؟!

- وله في الوطنية والحماسة: مثل قصيدته الشهيرة في توديع كتائب الأزهر إلى القناة؛ للاشتراك في المعارك التي قادها الشباب المسلم في تلك الأيام ضد الإنجليز المحتلين، وكانت هذه القصيدة بعنوان «يا أزهر الخير» نظمها سنة 1951م، وقال فيها:

دع المدادَ وسطِر بالدّم القَانِي! وأَسْكِت الفم واخْطَبْ بالفم الثاني!

فم المدافِع في صدر العُدَاة له من الفصاحةِ ما يُزْرِي بسُحبانِ

ومنها:

يا أزهر الخير قدْهَا اليوم عاصفة فإنّما أنتَ من نورٍ ونيران

هذا شبابك للميدان مُنطلق فهل نرى في الشيوخ اليوم «كاشاني»؟!

- وله في المناسبات الإسلامية: كقصيدته «النونية في ليلة القدر» التي

ألقاها في معتقل الطور في رمضان 1369هـ. وقصيدته «الرائية» في ذكرى الهجرة سنة 1370هـ، والتي مطلعها:

سَهِرْتُ لَيْلِيَ حتّى مَلَنِي السَّهَرُ وشَـفَنِي ذِكْرُهـا والصَّـبُّ يَـذّكِرُ

وقصيدته «النونية» الشهيرة في ذكرى المولد سنة1370هـ، وقد نشرت مجلة «الدعوة» أجزاء منها، وسارت بها الركبان، ومنها:

قـالوا: إلـى السـجن، قلنـا: شُـعبة ليجمعونـا بهـا فـي الله إخوانَـا
قُـالوا: إلـى الطـور، قلنـا: الطـور فيـه نَقـرِّر مـا يخشـاهُ أعـدانا
فُهـو المُصـلَى نَربِّـي فيـه أنفسَـنا وهـو المَصِـيفُ نَقـوِّي فيـه أبـدانَا

وقصيدته «الرائية» بمناسبة مرور عشرين عامًا على الدعوة، نظمها عام 1948م، ومنها:

هـل هـذه شُـعَبٌ أم هـذه شُـعَلٌ تكوي وتهدي ففيها النَار والنَور؟
تكـوي أناسِـيَّ أعْيـا الطِـبَّ داؤُهم والكـيُّ آخـر مـا تـأتي العقـاقير
وتُرسِلُ النورَ يهدي مَن لـه بصرٌ والعُمْـيُ تُنكِـر والخَفّـاش مـذعور

ومنها:

يا دعوة الحق قَصِّي ما لقيت فكم يُؤذَى الهُدَى ويُعانُ الباطلُ البور
وكم زعيم عَدَا نحـوي لينطَحَنِـي فعاد من صخرتي والقَرْنُ مكسور

ومنها قوله الذي يصف فيه شباب الدعوة:

للغرب هُمْ أجل، للشرق هم أملٌ للـدين نصـرٌ وللأوطـان تحريـرُ
ظنّوا وراء اللِحَى وَهْنًا ودروشة مهـلًا فخلـف اللِحَـى أسْدٌ مَغَـاوِيرُ

وقصيدته «الرائية» التي قيلت بمناسبة مؤتمر طلاب الأزهر الذي عقد

بساحة الأزهر، بشأن مطالب الأزهريين في سنة 1952م أوائل قيام الثورة أيام الرئيس محمد نجيب، ومنها:

صَبَرْنَا إلى أنّ مَلّ من صبرِنا الصَّبرُ وقلنا: غدًا أو بعده ينجلي الأمرُ
فكان غدٌ عامًا، ولو مُدّ حَبْلَه فقد ينطوي في جوف هذا الغَدِ الدّهر
وقلنا: عسى أن يُدْرِكَ الحقّ أهلَهُ فصاحت «عسى» من «لا» و«لا» طعمها
وماذا علينا بعد أن ثار مِرْجَلٌ من الغيظ والآلام يغلي به الصَّدْرُ
سددنا بطول الصبر منّا صِمَامَهُ فزادتْ عليه النارُ، فانفجر القِدْرُ!

ومنها:

سلامٌ على الدنيا سلامٌ على إذا ارتفع العصفورُ وانخفض النَّسْرُ

- وله الشعر القصصي: كما في قصيدته «ثورة لاجئ»، التي نظمها عام 1962م. وهي موجودة كاملة في هذا الديوان.

- وله الشعر المسرحي: كما في مسرحية «يوسف الصديق» التي ألّفها ونشرها في عهد مبكر من حياته. وهي رواية تمثل ما جرى لسيدنا يوسف سسس مع أبيه وإخوته، ثم مع امرأة العزيز، ثم مع الملك من البداية إلى النهاية. وقد نظم في إهدائها الأبيات التالية:

إلى مَن رمته العاديات بسهمها فبات يُعاني الضّر إذ عضّه الدهر
إلى مَن طواه العمر وهو مُعذب لياليه سوداء، وأيامه غبر
إلى مَن رماه الهمُّ في جُبِّ حيرة وأدخِل سجن البؤس ليس له وِزْرُ
لمن غالب الأيام حتى غلبنه وظنّ مُحالًا أن يكون له نصر
إلى مَن جفاه حِبَّه وهو هائم فظل كئيبًا لا يبش له ثغر

وبـات مَهِـيضَ القلـب، فـي عينـه وفي صدره جمر، وفي فمه صبر
إلـى ذلـك الصّبَّ الـذي ظلّ عمـرَه قـــــــــــــذِ وســـاعته شـــهر وليلتـــه دهـــر
إلـــى هـــؤلاء البائســـين ليعلمـــوا بـــأن مجـــيء المَـدِّ إذ ينـزل الجـزر
إلـــى هـــؤلاء الأشـــقياء ليُوقنـــوا بـــأن ظـــلام البُـــؤس يخلفـــه فجـــر
إلـيهم كتابًـا مـن أخ ضـيم مـثلهم عسـى أن تعـزّيهم بشـائره الغـرُّ
إلـــيهم كتابًـــا مـــن غـــريم زمانـــه فسلســـلة ملـــح، وســـكّره مـــرُّ
فـإن وجـدوا فيـه عـزاء وسـلوة فلي منهم شكر ومن بارئي أجر

وقد اطلعت على نسخة من هذه المسرحية، ووجدت على غلافها صورة للشاعر وهو طالب بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية، وتحت الصورة هذه الأبيات:

أمصـــوّرَ الأجســـام والأبـــدان هـــلّا تُصـــوِّر حكمتـــي وبيـــاني؟
أتصـوّرِنْ وجـه الرجـال وتتـركن تصـوير مـا بهمـو مـن العرفـان؟
المـرء لـيس بوجهـه أو جسـمه لكـــن بفكـــرٍ ثاقـــبٍ ولســـانِ
لو كان قدر المرء جسمًا لا حِجًا لســما عليــه الثــور بالجســمان

وكأن الشاعر ينظم ويردد معنى قول الرسول الكريم: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

- ولـه الشـعر الملحمـي: كمـا فـي قصـيدته «النونيـة» التـي قدمتها فـي هـذا الديوان. وكـان الشـاعر قد نظمهـا فـي السـجن الحربـي سـنة 1955م؛ لتسـجل أحداث هذا السجن الرهيب.

- ولـه فـي الرثـاء: كقصـيدته «دمعـة وفـاء» التـي نظمهـا سـنة 1950م فـي

رثاء الأخ المجاهد زكي الدين أبو طه، ومنها:

أبكي فتى إن ثار للحق انتضى عزمًا يفلّ الصَّارم المسلولا

أبكي فتى كان الجميع يعدّه رجلًا، وإن كان الرِّجال قليلًا

- وله في التوبة والابتهال: كقصيدته «ابتهال» التي نظمها سنة 1962م، ومنها:

يا من له تعنو الوجوه وتخشع ولأمره كلّ الخلائق تخضع

أعنو إليكم بجبهة لم أحنها إلا لوجهك ساجدًا أتضرع

- وله مجموعة من الأناشيد: كنشيد «مسلمون»، ونشيد «العودة»، ونشيد «فتى القرآن».

- وله في غير ذلك من الأغراض، مما ذهب أكثره، ولم يبق إلا أقله. ولعل الغرض الوحيد الذي لم يطرقه بشعره هو: المديح، ولعل سبب ذلك واضح عند كل من عرف الشاعر وخالطه. فهو بطبيعته يكره الإطراء والملق، والتعلق بالأشخاص.

بين الفقه والشعر:

العلاقة بين الفقه والشعر قديمة، قد تغرق في قدمها إلى القرن الهجري الأول عندما أخذ بعض الشعراء يستعيرون مصطلحات الفقه وقضاياه في أشعارهم، وعندما أخذ بعض الفقهاء يصوغون بعض قضاياهم بالشعر، أو يعبرون عن الجوانب الوجدانية في ذواتهم بالشعر، ثم تطور ذلك كله إلى أن يتخذ بعض الفقهاء من الشعر وسيلة للدعوة إلى الاستقامة ومكارم الأخلاق.

وبهذا التفاعل بين الفقه والشعر ظهر ما يُسمى لدى دارسي الأدب

بـ«الفقهاء الشعراء»، واشتهر من هؤلاء عدد غير قليل، حتى وجدنا مَن يُؤلِّف كتبًا عن الفقهاء الشعراء.

ولعل أشهر الفقهاء الشعراء هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور. وللشافعي شعر في غاية الجودة، وإن كان من الطبيعي أن يكون هذا الشعر عن الجانب الأخلاقي في معظمه، إلا أنه لم يخل من الجانب الوجداني.

وكان الشافعي رضي الله عنه يحس أن لديه طاقات شعرية عظيمة، ولكنه كان يكبتها، وينشغل عنها أو يشغله عنها الاشتغال بالفقه وقضاياه، كان كلما هزه الشعر وحاول أن يكتبه، يردعه ويزجره؛ لاعتقاده أن الفقه والشعر لا يصلح أن يجتمعا، وذلك لما يراه من خوض الشعراء في كل موضوع موافق للفقه أم مخالف، وما يسمعه من هيام الشعراء في وديان لا يقرها الشرع ولا يرتضيها الفقه.. نحس ذلك في قوله:

ولولا الشعر بالعلماء يُزْرِي لكنتُ اليوم أشعر من لبيد

وانظر إلى سيطرة الفقه على روح الشافعي، فهو قد فضَّل بطريقةٍ ذكيةٍ لبيد بن ربيعة العامري الصحابي على سائر أصحاب المعلقات الذين ماتوا قبل الإسلام، لذا نراه يتخذ شعره دون غيره مثالًا لتقدم الشعر وتفوقه.

ومع أن الشافعي كان يرى الشعر مُزريًا بالعلماء، فقد قال من الشعر ما يملأ ديوانًا من مئة صفحة أو يزيد، وهو قدر قد لا يجتمع لشاعر مشهور، ومع ما أحيط به بعض هذا الشعر من شكٍّ في نسبته للإمام إلا أنه يبقى دليلًا على أن الشافعي كان شاعرًا واعدًا لو أنه لم ينصرف عن الشعر إلى الفقه.

فإذا كان الشافعي رضي الله عنه شاعرًا أخذه الفقه من الشعر.. فإن الشيخ القرضاوي من هذه الفئة من الشعراء الذين رَبِحَهم الفقه والفكر الإسلامي وخسرهم الشعر. ولنستمع إليه يحاور نفسه في قصيدة بعنوان «أنا والشعر» فيقول:

أريد له هجرًا فيغلبني حُبِّي وأنوي ولكن لا يُطاوعني قلبي
وكيف أطيق الصبرَ عنه وإنّما أرى الشعر للوجدان كالماء للعشبِ
فكم شدَّ من عزم وبصَّر من عمًى وأيقظ من نوم، وذلّل من صعب
لقد بغّضت لي الشعرَ في مصر ثلّة يبيعونه بالمال للبَغْي والنّهب
فكم سافحٍ قد لقّبوه بفاتحٍ وكم مسرفٍ سمَّوه ذا الكرم الرَّحيب!
وكم فاجر باغٍ مشوا في رِكابه وسمَّوه ليثا وهو أدنأ من كلب!
وكم وَلَغَتْ في حُرمة الناس كفّه فغَطّوا عليها كالخِضَاب على الشَّيب
إذا كان هذا دَيْدَن الشعر في الوَرَى فما هو إلا السَّمُّ في المشرب العَذْب

ومع أن القرضاوي ترك الشعر وتفرغ للنشاط الإسلامي في جوانبه المتعددة، إلا أنه من العلماء الذين يتذوقون الشعر ويحبونه ويحضرون ندواته.. وهو يرى أن الشعر ركيزة هامة من ركائز الدعوة الإسلامية إذا كان للحق وحده، فيقول:

وقفتُك يا شعري على الحقّ فإن لم أنل إلّاه قلتُ لهم: حسبي!
وإن قال غِرٌّ: ثروتي، قلتُ: وحدَه وإن قال لي: حزبي، أقول له: دعْ
فعِشْ كوكبًا يا شعر يهدي إلى العُلا وينقَضّ رجمًا للشياطين كالشّهْب!

ولا زال هذا الداعية المربي ينظم أناشيد إسلامية يشدو بها الشباب، وتتربى عليها الأجيال.

وكان يمكن أن يكون القرضاوي شاعرًا ملء الأسماع والأبصار لو أنه تفرغ للشعر والأدب... ولكنه ترك الشعر وتفرغ للكتابة في مجالات الدعوة المتعددة، فقدم للأمة ذخائر من الفكر والدراسات الإسلامية العميقة –ولا سيما الفقهية- أنارت الطريق أمام الأجيال المسلمة، والحمد لله رب العالمين.

* * *

القصائد

القصيدة الأولى: يا مرشدًا قاد بالإسلام إخوانًا.

القصيدة الثانية: مناجاة في ليلة القدر.

القصيدة الثالثة: في ذكرى المولد.

القصيدة الرابعة: دمعة وفاء.

القصيدة الخامسة: أنا والشعر.

القصيدة السادسة: الملحمة النونية.

القصيدة السابعة: السعادة.

القصيدة الثامنة: ثورة لاجئ.

القصيدة التاسعة: ابتهال.

القصيدة العاشرة: مناجاة.

القصيدة الحادية عشرة: يا أمتي وجب الكفاح.

القصيدة الثانية عشرة: رسالة شوق وحنين.

القصيدة الثالثة عشرة: بنت قنا.

القصيدة الرابعة عشرة: الفراق الطويل.

القصيدة الخامسة عشرة: بشرى ودعاء.

القصيدة الأولى

يا مرشدًا قاد بالإسلام إخوانًا

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر عام 1947م وكان وقتها طالبًا في المرحلة الثانوية بمعهد طنطا.

وكان من عادة الإمام حسن البنا رحمه الله أن يزور مراكز الدعوة ويتفقدها.. مرشدًا وموجهًا.. وفي إحدى الزيارات نظم القرضاوي هذه القصيدة وألقاها في شعبة الإخوان بطنطا بحضور المرشد.. وبعد سماع القصيدة قال الإمام: هذا شاعر فحل.

وتبلغ أبيات القصيدة خمسة وعشرين بيتًا.

* * *

يا مرشدًا قاد بالإسلام إخوانًا

يـا مرشـدًا قـاد بالإسـلام إخوانـا وهــزّ بالــدعوة الغــراء أوطانــا
يـا مرشـدًا قـد سَـرَتْ فـي الشـرقِ فقــام -بعـد منــام طــال- يقظانــا
فكـان للعُـرْب والإسـلام فجـرَ هُدًى وكــان للغــرب زلــزالًا وبركانــا
ربَّيــتَ جـيلًا مـن الفـولاذ معدنَـه يزيــده الضّــغط إســلامًا وإيمانــا
أردتَ تجديدَ صرح الدين إذ عَبَثَتْ بــه الســنونُ فهـدّت منــه جـدرانا
فقمــتَ تحمــل أنقاضًــا مكدّســة وعشــتَ تُعلــي لــدين الله أركانــا
تُرسـي الأسـاس علـى التوحيـد فـي وترفـع الصَّـرحَ بـالأخلاق مُزدانـا
حتـى بلغـت الأعـالي مصلحًـا بطـلًا تُطِـلّ مــن فوقهــا كالبــدر جـذلانا
وثلّـة الهـدم فـي السُّـفلى مـواقعهم صـبُّوا عليـك الأذى بغيًـا وعـدوانا
ترميــك بالإفــكِ أقــلامٌ وألســنة خانـت أمانتَهـا، يـا بـئس مـن خانـا
وتنشــر الــزّورَ أحــزابٌ مُضــلِّلة تغلــي صـدورهمو حقـدًا وكفرانــا
كــذاك لا بــد للبنّــاء مــن حجــرٍ يُصيبه أو يصيب الطين أردانـا[2]
ولــم نلمهــم فهــذا كلّــه حســدٌ والغِـلّ يُوقِـد فـي الأحشـاء نيرانـا
وانظـر ليوسـف إذ عـاداه إخوتـه فجرَّعــوه مــن الإيــذاء ألوانــا
رأوه شمسًـا وهـم فـي جنبـه سُـرُجٌ رأوا أبــاهم بهــذا النــور ولهانــا
فــدبَّروها بظلمــاءٍ مــؤامرةَ ليبعـدوا عنــه وجهًـا كـان فتانــا
ألقَوه فـي الجُـبِّ لـم يرعَـوا طفولتَـه بـاعوه كالشـاة لـم يرعَـوا لـه شـانا
وعـاش يوسـف دهـرًا يخـدم امـرأةَ عبدًا، وكان له في السجن ما كانا

(2) كان تعليق الإمام البنا حين سمع هذا البيت: يا ربِّ سلم.

فـإن يكـن نسـلُ يعقـوبٍ كـذا فعلـوا فـلا تلـم نسـلَ فرعـونٍ وهامانـا[3]!
ودع أذاهـم وقـل: موتـوا بغيظكمـو فـــالغربُ مولاكمـــو والله مولانـــا!
آذوك ظلمًـا فلـم تَجْـزِ الأذى بـأذى وكـان منـك جـزاءُ السَّـوء إحسـانا
وكنتَ كالنَّخـل يُرمَـى بالحجـارة من قـــومٍ فيرميهمـــو بـــالتّمر ألوانـــا
قـــد أوســـعوك أكاذيبًـــا ملفقـــة وأنـت أوسـعتهم صـفحًا وغفرانـا
وقلتَ: ربِّ اهدهم للحقِّ واهدِ بهم واجعلهمـو للهـدى جنـدًا وأعوانـا
ومَـــن تكـــن برســـول الله أســـوتُه كانـــت خلائقَـــه رَوْحًـــا وريحانـــا

* * *

(3) كان تعليق الإمام الشهيد هنا: نسل يعقوب أمكر وأغدر.

القصيدة الثانية

مناجاة في ليلة القدر

قصيدة نونية بمناجاة ليلة القدر.. نظمها الشاعر ليلة 27 رمضان عام 1369هـ، 1949م بمعتقل الطور.. وذلك عندما احتفل الإخوة المعتقلون بهذه المناسبة الطيبة، وكانت هذه القصيدة مما ألقي في هذا الحفل، وكان ختامها دعوات ومناجاة مبتهلة إلى الله سبحانه.. وكان من فضل الله تعالى أن استجاب لهذه الدعوات، وفرَّج الكرب، وسقطت وزارة الطغيان وزارة إبراهيم عبد الهادي في ذلك الوقت. وجاء العيد حاملًا معه البُشرى، وبدأ الإفراج عن المعتقلين..

والقصيدة طويلة ولم أتمكن من الحصول عليها كاملة.. وقد سجلت الأبيات التي يحفظها الشاعر وعددها ثمانية وعشرون بيتًا.

* * *

مناجاة في ليلة القدر

عشـقتها فاسـترقت قلبـي العـاني ... فقمـتُ أعـزف فيهـا عـذب ألحـاني
سـمَّوه شـعرًا وإنـي لا أراه سـوى ... آهـات قلبـي وإحساسـات وجـداني
يـا ليلـة زانهـا ربِّـي وشـرَّفها ... تنزيلـه فـي دُجاهـا نـورَ قـرآن
دسـتورُ حـقٍّ وتشـريعٍ وتربيـةٍ ... يبقـى، وإن زال هـذا العـالم الفـاني
ربَّـى رجـالًا مغـاوير اهتـدوا وغـزوا ... إنّ الرُّجولـة مـن نـور ونيـرانِ
أمسـى بـلالٌ بـه مـن ذلـةٍ ملكًـا ... وصـار سـلمانُ شـيئًا غيـر سـلمانِ!
لله فتيـان حـقٍّ لـو رأيـت فتًـى ... مـنهم تـرى مَلَكًـا فـي زيِّ إنسـان!
فمَـن يُـداني أبـا حفـص وصـاحبه؟ ... ومَـن يُـداني عليًّـا وابـن عفـان؟
هذا الكتـاب غدا في الشرق واأسفَا ... شمسًـا تُضـيءُ ولكـن بـين عميـان!
يُحـاط بالطفـل حِـرْزًا مـن أذى وردًى ... وفيـه حِـرْزُ الـوَرَى من كل خسران!
يُتلـى علـى ميِّـتٍ فـي جـوف مقبـرة ... ولـيس يحكـم فـي حـيٍّ بـديوان!
فكيـف نَرْقَـى ومعـراجُ الرُّقِـيِّ لنـا ... أمسـى يُجـرُّ عليـه ذيـلُ نسـيان؟!
يـا ليلـة السـلم والإسـلام معـذرة ... فالسِّـلْمُ فـي مصـر والإسـلامُ لفظـان
أيـن السَّـلام؟ أرونـي أيـن موضـعه ... قـد ضـاع ضـيعة يُـتّمٍ بـين خَـوَّان!
أيـن الدسـاتيرُ، فانظرهـا مُعلقـة ... مثـل التّمـائم فـي أحضـان صـبيان!
أيـن الحقـوق ولـم نلمـح لهـا صـورًا ... إلا سـياطًا كأذنـاب لثيـران!
نحـن النّجـوم تـزينُ الكـونَ طَلْعَتُنـا ... ويهتـدي بِسَـنانا كـلَّ حيـران
نحـن النجـوم فـلا تعجـب إذا انطَلَقَتْ ... منّـا رُجـومٌ أخافـتْ كـلَّ شـيطان
قـالوا اسْـجُنوا واغمُـروا الأقسـامَ ... فجمَّعونـا علـى حُـبٍّ وإيمـان
واعتقلـوا

وصادروا مالنا من جهلهم ونسوا أن يحجروا رزقَ رزّاقٍ ورحمان

وأسرفوا وعَلَوْا في الأرض وعُكِّرَ النيلُ من هاماته الثاني

وعذبوا كي يُذِلوا أنفسًا طَمَحَتْ وعزّت النَفسُ أن تعنو لسلطان

والليثَ لن تحني الأقفاصُ هامَتَه وإن تحكّم فيه ألفُ سجّان

يا ربِّ إنّ الطغاة استكبروا وبَغَوا بغيَ الذِئاب على قطعَانِ حُمْلان!

يا ربِّ كم يوسف فينا نقيّ يدٍ دانَوه بالسجن والقاضي هو الجاني!

يا ربِّ كم من صبيٍّ صفَدوا فمضى يبكي كضِفْدِعَة في ناب ثعبان!

يا ربِّ كم أسرة باتت مشرَّدة تشكو تجبُّر فرعون وهامان!

يا ربِّ رحماك، انجز ما وعدتَ به وانصر، فنصرك من أهل الهدى دانِ!

* * *

القصيدة الثالثة

في ذكرى المولد

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر في ذكرى المولد النبوي الشريف عام 1370هـ، 1950م في القاهرة.. وقد نُشرت في مجلة «الدعوة» التي كانت تصدر في القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة ستة وستين بيتًا.

* * *

في ذكرى المولد

هـو الرَّسـول فكـن فـي الشِّـعرِ حسَّـانا ... وصُغْ من القلب في ذكراه ألحانا

ذكـرى النبـي الـذي أحيـا الهـدى بـالعلم والنـور شـعبًا كـان عريانـا

أطـلَّ فجـر هـداه والـدّجى عَمَـمٌ ... بـات الأنـام وظلّـوا فيـه عميانـا

هــذا يُصــور تمثــالًا ويعبــده ... وذاك يعبــد أحبــارًا وكهَّانــا

الكـون بحـر عميـق لا منـار بـه ... لـم يدر فيـه بنـو الإنسـان شطئانا

ويـل الصَّـغير! وقـد صـار الـورى دُمكًـا ... يسطو الكبير عليـه غير خشيانا!

فُدولـة الـرُّوم حُـوتٌ فـاغرٌ فمـه ... يطغى على تلكم الأسماك طغيانا

ودولة الفرس حوتٌ مثلـه كشرت ... أنيابــه للــورى بغيًــا وعــدوانا

وحشـيَّة عمَّـت الـدّنيا أظافرُهـا! ... جهالــة أَصْـلت الأكـوانَ نيرانـا!

الليــل طــال! ألا فجــر يُبــدِّده؟ ... ربَّــاه أرسـلْ لنــا فلَكًــا وربَّانــا!

هنـاك لاح سـنا المختـار مُؤتلقًـا ... يهـدي إلـى الله أعجامًـا وعُربانـا

يتلـو كتـاب هـدي كـان الإخـاء لـه ... بـدءًا وكـان لـه التوحيـد عنوانـا

لا كِبْـرَ-فالنـاس إخـوان سواسـية ... لا ذلَّ, إلا لمــن ســوَّاك إنســانا

يقـود دعوتــه فــي الــيَّمِّ بــاخرةَ ... تقِـلُّ مَـن أمَّهـا شـيبًا وشـبَّانا

السِّــلْم رايتهــا، والله غايتهــا ... لـم تبـغِ إلّا هـدًى منـه ورضـوانا

جـرت بركبانهـا لا الـرِّيح زلزلهـا ... ولا يَـدُ المـوج مهمـا ثـار بركانـا

وكـم أراد العـدا إضـلالها عبثًـا ... وحـاولوا خرقهـا بـالعنف أزمانـا

واهًا! أتُخْرق والـرَّحمن صانعها؟ ... والله حارسها من كل مَن خانا؟!

أم هـل تضـلّ سـفين «بيـت وحي من الله يهدي كل حيرانا؟!
أم كيف لا تصل الشطئان بـأخرة[4] ربَّانها خير خلق الله إنسانا؟!
تلك الرِّوايـة والهفـي ممثلـة في العالم اليوم في بلدانه الآنا
إن يختلف الاسمُ[5] فالموضوعُ مهما تَلَوَّنت الأشخاصُ ألوانا
فالنّاس قد تَخِذوا الأهواء آلهةً إن كان قد تَخِذَ الماضون أوثانا
الشعب يعبد قوَّادًا تُضلِّله كما يُضلِل ذو الإفلاس صبيانا
والحاكمون غَدَا الكُرسيُّ ربَّهم يُقدِّمون له الأوطانَ قربانا
إن ماتت الفرس فالرُّوسيا تُمثِلها أما ستالين فهو اليوم كِسرانا[6]
وإن تزل دولة الرُّومان فالتمسوا في الإنجليز وفي الأمريك رومانا
وإن يمت قيصر فانظر لصورته في شخص آتلي ومولاه ترومانا
سياسة الكلِّ أن يبقى الورى سُمكًا وأن يكونوا هُمو في البحر حيتانا
يا خيرَ مَن ربَّتِ الأبطالَ بعثتُه[7] ومَن بَنَى بهمو للحقِّ أركانا
خلفت جيلًا من الأصحاب سيرتهم تضوع بين الورى رَوْحًا وريحانا
كانت فتوحهمو برًّا ومرحمة كانت سياستهم عدلًا وإحسانا
لم يعرفوا الدِّينَ أورادًا ومسبحة بل أشربوا الدِّينَ مِحْرابًا وميدانا
فقل لمن ظنّ أنّ الدِّينَ مُنفصلٌ عن السياسة: خَذ يا غِرُّ برهانا
هل كان أحمد يومًا جِلَسَ صومعة؟ أو كان أصحابه في الدَّيْر رُهبانا؟
هل كان غيرُ كتاب الله مرجعَهم؟ أو كان غيرُ رسولِ الله سلطانا؟

---

(4) بيت الإبرة: البوصلة.

(5) الهمزة في «الاسم» همزة وصل كما هو معروف.

(6) كسرانا: أي كسرى عالمنا اليوم، فالأسماء القديمة زالت والمسمَّى باقٍ.

(7) أي: بعثة الرسول صصص ربَّت الصحابة الكرام.

لا بـل مضـى الـدِّينُ دسـتورًا وأصبح الدِّينُ للأشخاص ميزانا

يرضى النبيُّ أبا بكر لدِينهمو لدنياهم فيعلن الجمعُ: نرضاه لدُنيانا

يا سيِّدَ الرُّسْلِ طِبْ نفسًا بطائفةٍ باعوا إلى الله أرواحًا وأبدانًا[8]

قادوا السَّفين فما ضلّوا ولا وكيف لا! وقد اختاروك ربَّانا؟!

أعطوا ضريبتهم للدِّين من دمِهم أضعاف ما طلبت والناس تزعُم نصرَ الدِّين مجَّانا

أعطوا ضريبتَهم صبرًا على محنٍ صاغت بلالًا وعمَّارًا وسَلْمانا

عاشوا على الحبِّ أفواهًا وأفئدةً باتوا على البُؤْس والنَّعماء إخوانا

الله يعرفهم أنصارَ دعوته والناس تعرفهم للخير أعوانا

والليل يعرفهم عُبَّادَ هَجْعَتِهِ والحرب تعرفهم في الرَّوْع فرسانا

دستورُهم لا فرنسا قَنَنَتْه ولا روما, ولكن قد اختاروه قرآنا

زعيمهم خيرُ خلق الله لا بشرٌ إن يُهْدَ حينًا يضلَّ القصدَ أحيانا

«الله أكبر»... ما زالت هتافَهمو لا يُسقِطون ولا يُحيون إنسانا

نشكو إلى الله أحزابًا مُضَلِّلَة كم أوسعونا إشاعات وبهتانا

ما زال فينا ألوفٌ من أبي لهبٍ يُؤذون أهلَ الهدى بغيًا ونَكرانا

ما زال لابن سلولٍ شيعة كثروا أضحى النِّفاق لهم وسمًا وعنوانا

يا ربِّ إنّا ظَلمنا, فانتصر, وأنر طريقنا, واحْبنا بالحقِّ سلطانا

نشكو إليك حكوماتٍ تكيدُ لنا كيدًا, وتفتح للسكسون أحضانا

تُبيح للَهو حاناتٍ وأنديةً تؤوي ذوي العهر شرابًا ومجَّانا

فما لِدُورِ الهدى تبقَى مغلّقة؟ يُمسي فَتَاها غريبَ الدار حيرانا

يا ربِّ نصرك, فالطاغوت أشعلها حربًا على الدِّين إلحادًا وكُفرانا

---

(8) يشير الشاعر إلى جنود الحركة الإسلامية.

يـا قـوم قـد أيَّـد التـاريخَ حُجَّتنـا وحصحص الحقَّ للمُستبصر الآنـا

إنَـا أقمنـا علـى إخـلاص دعوتنـا وصِـدْقِها ألـفَ برهـانٍ وبرهانـا

لقد نَفَونـا فقلنـا: المـاءُ أين جرى يحيـي المـواتَ ويَروِي كلَّ ظمآنـا

قِـالوا: إلـى السّـجن, قلنـا: شُـعبة ليَجْمَعونـا بهـا فـي الله إخوانـا

قـالوا: إلـى الطـور, قلنـا: ذاكَ فُتحَتْ فيـه نَقـرُ مـا يخشـاه أعـدانا!

فهـو المُصَـلى نزَكِّـي فيـه أنفسَـنا وهـو المصيف نقـوّي فيـه أبـدانا

معسـكرٌ صـاغنا جنـدًا لمعركـةٍ ومعهـدٌ زادنـا للحـقِّ تبيانـا

من حرَّموا الجمع منَا فوق أربعةٍ ضـمُّوا الألَـوف بغـاب الطـور أُسدانا!

راموه منفَى وتضييقًا, فكان لنا بنعمـة الحـبِّ والإيمـانِ بُستانا!

هذا هو الطور شاءوا أن نـذوبَ بـه وشـاء ربُّـك أن نـزداد إيمانـا

* * *

القصيدة الرابعة

دمعة وفاء

هذه القصيدة في الرثاء.. نظمها الشاعر عام 1950م في رثاء الأخ المجاهد زكي الدين أبو طه.. وكان هذا الأخ قدوةً حسنةً في أفعاله وأقواله، وكان من الدعاة المخلصين.. بذل الكثير لدعوته وأُوذي وصبر ودخل السجن عام 1949م.. وبعد خروجه منه انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة 1950م.

نشرت هذه القصيدة بتاريخ 22 أغسطس عام 1950م بمجلة «المباحث القضائية» التي كانت تصدر في القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وعشرين بيتًا.

* * *

دمعة وفاء[9]

أبكي، وهل يشفي البكاءُ غليلًا؟ وقد انتوى عنّا الحبيب رحيلا
أبكي، وليس من البُكا بُدّ، وإن كان المصابُ على القلوب جليلا
أبكي على غصنٍ نما في روضةٍ للحقِّ أذبله المنون ذبولا
أبكي على نجمٍ أنار ضياؤُه دهرًا وأسرع للمغيب أفولا
أبكي فتًى فوق الثريَّا نفسه يلقى الممات ولا يعيش ذليلا
أبكي فتًى صلبًا تكاد تخاله عُمَرًا، يخيف ولا يخاف قبيلا
أبكي فتًى إنّ ثار للحقِّ انتضى عزمًا يفلّ الصَّارمَ المسلولا
أبكي فتًى كان الجميعُ يعدّه رجلًا، وإن كان الرِّجال قليلا
صعبٌ علينا أن نرى بدرًا هوى ونرى التراب على سناه مهيلا
صعبٌ بأن نجد الذي حمل الهدى أمسى على أعناقنا محمولا
صعبٌ علينا أن يُباعد بيننا هذا الترابُ فلا نراه طويلا
يا مَن ضربت لنا المثالَ مُضَحِّيًا وأريتنا صورَ الجهاد الأولى
فحييتَ في ظلِّ العقيدةِ ثابتًا وأبيتَ إلا أن تموت أصيلا
قد كان آخرَ ما نطقتَ بذكره «الله أكبر» رُتِّلتْ ترتيلا
ألقَوْك في ظلَم السَّجونِ وظلْمها فأضأتَ في ظلَماتِها قنديلا
وصبرتَ صبرَ الأنبياء كأنّما تلقى ثباتَك من يدَيْ جبريلا
يا مؤمنًا كانت حياتك قدوةً ستظلَّ روحك في الطريق دليلا
نَمْ يا زكيَّ الدِّين إنك خالدٌ ما كان ذكرُك يا أخي ليزولا

---

(9) مجلة «المباحث القضائية» بالقاهرة بتاريخ 22 أغسطس 1950م.

نَمْ يا شهيدَ الحقِّ مسرورًا، فقد كان المنامُ لديك قبل ثقيلا
وانْعَمْ بلقياك الرسول محمدًا وبوجه ربِّك راضيًا مقبولا
وإذا لقيتَ إمامَك البَنّا فلا تنسى السلامَ عليه والتّقبيلا
أبلغه أن جنودَه بعَرِينِه لن يتركوه وإن لَقَوا عزريلا

* * *

القصيدة الخامسة

أنا والشعر

نظم الشاعر هذه القصيدة عام 1950م.. وبيَّن فيها نظرته إلى الشعر ورأيه فيه..

وتم نشرها في مجلة «المباحث القضائية» بالقاهرة بتاريخ 1950/6/27م.

وتبلغ أبيات القصيدة تسعة وعشرين بيتًا.

* * *

أنا والشعر[10]

أريد لـه هجرًا فيغلبني حُبِّي ... وأنوي ولكن لا يُطاوعني قلبي
وكيف أطيق الصَّبر عنه وإنَما ... أرى الشِّعر للوجدان كالماء للعُشْبِ
فكم شدّ من عزم، وبصَّر من عمٍ ... وأيقظ من نومٍ، وذلل من صعبِ
لقد بغضتْ لي الشِّعْرَ في مصرَ ثُلَّةٌ ... يبيعونه بالمال للبغي والنَهب
فكم سافح قد لقبوه بفاتحٍ ... وكم مسرفٍ سمَّوه ذا الكرم الرَّحْبِ
وكم فاجر باغٍ مشوا في ركابه ... وسمَّوه ليثا وهو أدنأ من كلب
وكم ولغت في حُرمة الناس كفّه ... فغطّو عليها كالخِضَاب على الشَّثْبِ
إذا كان هذا ديدن الشِّعر في الـ ... ـقديمِ فما هو إلا السَّمُّ في المشرب العَذْبِ
وثلة سوءٍ ظنت الشِّعْرَ معدنًا ... يصاغ بجَهْدٍ كالنحاس وكالصَّلْبِ
فجاءوا به وزنًا أجفَّ من الصَّفا ... وأثقل من هجرٍ على مُهْجَةِ الصَّبِّ
لئن نحتوه كالتّماثيل هيئة ... فمَن لهمو بالرُّوحِ، والروحُ من ربّي؟
وشِرْذِمَة أخرى سَبَى اليأسُ قلبَهم ... ولليأس جندٌ كم يُميتُ وكم يَسْبِي!
إذا عرضوا للشّعْبِ قال قنوطهم ... عليلٌ قد استعصى على نَطَسِ الطِّبِّ
نسوا ما به من مكرُمات كوامِن ... كمون اللظَى في الفحم والتبر في التِّرْبِ
لكَ الله شعبًا سامَه جمعُ قلّةٍ ... فيا لك من جمعٍ، ويا لك من شعبِ!
يُريقُ دماه المُترفون لينعموا ... بها خمرة تحلو على اللهو واللعبِ
يُسيغونه لحمًا، فإذ ما تمتّعوا ... رمَوه عظامًا كاد يقضي لها نحبي
يساقُ إلى ما يشتهون كأنّه ... قطيعٌ، وويلٌ للقطيع من الذِئب!

---

(10) «المباحث القضائية» بالقاهرة بتاريخ 1950/6/27م.

وطائفة أخرى أطاعوا هواهُمو ... فجازوا إلى اللذات دربًا إلى دربِ

يقولون: ليس المرءُ إلّا فؤادَه ... وكيف يعيشُ المرءُ جسمًا بلا قلبِ؟!

فغاصوا به في الغِيد والحبِّ والهوى ... كأن لم يكن في القلب معنًى سوى الحبِّ!

إذا لم يكن في القلب دِينٌ وهمَّةٌ ... وبغضٌ لطغيانٍ فما هو بالقلبِ!

عجبتُ لهم قالوا: تماديتَ في المِنى ... وفي المُثُل العليا، وفي المرتقى الصَّعبِ

فأقصِر ولا تَجْهِد يَرَاعَك، إنما ... ستبذر حبًّا في ثَرَى ليس بالخِصبِ

فقلتُ لهم: مهلًا فما اليأسُ شيمتي ... سأبذر حبِّي، والثِمارُ من الرَّبِّ

إذا أنا أبلغتُ الرسالة جاهدًا ... ولم أجدِ السَّمْعَ المُجيبَ، فما ذنبي؟!

وقفتُك يا شعري على الحقِّ وحده ... فإلم أنَلْ إلّاه قلتُ لهم: حسبي!

وإن قال غِرٌّ: ثروتي، قلتُ: دعْ عشْ ... وإن قال لي: حزبي، أقول له: ويْ!

فعش كوكبًا يا شعرُ يهدي إلى العُلا ... وينقضّ رجمًا للشياطين كالشّهْبِ

* * *

القصيدة السادسة

ملحمة الابتلاء - الملحمة النونية

ملحمة أُلِّفت داخل السجن الحربي في القاهرة عام 1955م.. وهي تحكي قصة سجين قضى نحو عشرين شهرًا في سنوات 54، 55، 1956م في السجن الحربي... إنها تصوير بسيط لبعض ما قاساه المسلمون الذين عُذِّبوا في هذا السجن الرهيب..

وحقًّا إنها لملحمة، بل هي أحق بصفة الملحمة من كثير من الطوال التي يُسميها أصحابُها ملاحم.. إنها سجل حي للصراع الرهيب الذي شهدته مصر في ظل طغمة السجن الحربي.. يُصوِّر بالحروف وقائع لا تستطيع الأيام أن تذهب بجدَّتها، وقد ضاعف من قيمتها الفنية ما تحتفظ به من حرارةٍ لاذعةٍ يحس القارئ تحت لفحها أنه يشم رائحة المأساة، ويُشارك الشاعر المُعانِي آلامَه المريرة.

هذه القصيدة وأمثالها سجَّلت بأمانة ودقَّة جزءًا أسود من جرائم الطاغوت ضد الحركة الإسلامية، وذكَّرت المسلمين بأولئك الأحرار الذين يُقاسون مُرَّ العذاب من أجل الإسلام، والذين كادوا يُصدِّقون فيهم كل ما تقذفه أقنية الإعلام الكاذب من مفتريات وأباطيل.

لقد ألَّف الشاعر هذه القصيدة في ظروفٍ عصيبةٍ داخل السجن الحربي، حيث لم يكن يُسمح لأي معتقل بأن يُبقي معه ورقةً أو قلمًا... ولهذا كان الاعتماد في تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة

السطور... فقد حفظها عدد كبير من الشباب داخل السجن، فكانوا لها رواةً.. ونقلها بعضُهم خارج مصر بعد مغادرة السجن.

وقد تم نشر قسم منها في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».. واليوم ننشرها كاملةً في هذا الديوان، وعدد أبياتها ثلاثمئة وبضعة عشر بيتًا.

* * *

ملحمة الابتلاء أو النونية!

ثـار القَـرِيضُ بخـاطري فـدعوني أفضـي لكـم بفجـائعي وشُـجوني
فالشِّعر دمعي حين يعصرني الأسى والشعر عودي يوم عزف لحوني
كـم قـال صـحبي: أيـن غـرُّ قصـائد تشـجي القلـوبَ بلحنهـا المحـزون؟
وتُخلِـد الـذِكرى الأليمـة للـورى تُتلـى علـى الأجيـال بعـد قـرون
مـا حيلتـي والشـعر فـيضُ خـواطرٍ مـا دمـتُ أبغيـه ولا يبغينـي؟!
واليـوم عـاودَني المـلاكُ فهزّنـي طربًـا إلـى الإنشـاد والتّلحـين
ألهمتُهـا عصـماء تنبُـع مـن دمـي ويُمـدّها قلبـي ومـاءُ عيـوني
نونيـة والنـونُ تحلـو فـي فمـي أبدًا فكدتُ يُقال لـي: «ذو النـون»
صوَّرتُ فيها ما استطعتُ بريشتي وتركـتُ للأيـام مـا يُعيينـي
مـا همـتُ فيهـا بالخيـال، فـإنّ لـي بغرائـبِ الأحـداث مـا يُغنينـي
أحداث عهد عصابة حكمـوا بنـي مصـر بـلا خَلـقٍ ولا قـانونٍ
أنسـتْ مظـالِمُهم مظـالمَ مَـن خَلَـوا حتـى ترحَّمنـا علـى «نيـرون»!
حسبوا الزّمـانَ أصمَّ أعمى عنهمـو قـد نوَّمُـوه بخطبـةٍ وطنـين
ويراعـة التـاريخ تسـخر منهمـو وتقـومُ بالتّسـجيل والتّـدوين
وكفـى بربِّـك للخليقـة مُحصِـيًا فـي لوحِـه وكتابـه المكنـون
يا سائلي عن قصتي، اسمع، إنها قصـص مـن الأهـوال ذاتُ شـجون
أمسِـكْ بقلبِـك أن يطيـر مُفزّعًـا وتـولَّ عـن دُنيـاك حتـى حـين
فـالهول عـاتٍ والحقـائق مُـرَّةَ تسـمو علـى التصـوير والتبيـين
والخَطْبُ ليس بخطب مصرٍ وحدها بـل خطـبُ هـذا المشـرقِ المسـكين

فـــي ليلـــةٍ لـــيلاءَ مـــن نـــوفمبرٍ فزّعـتُ مـن نـومي لصـوت رنـين

فـإذا «كـلابُ الصـيد» تهجـم بغتـة وتحـــوطني عـــن يســـرةٍ ويمـــينِ

فتخطفـــوني مـــن ذويَّ وأقبلـــوا فرحًـــا بصـــيد للطغـــاة ســـمين

وعُزِلْتُ عن بصر الحياةِ وسمعِها وقـذِفتُ فـي قفـصِ العـذابِ الهُـون

فـي سـاحة «الحربـي»[11] حسـبُك مـن باعـثٍ للرعـبِ قـد طرحـوني

---

(11) السجن الحربي: سجن عسكري بناه الإنجليز في عهد الاحتلال؛ ليُودع فيه الجنود الذين يخالفون القوانين العسكرية. وهذا السجن هو في الواقع مجموعة سجون أو أقسام، في كل قسم عدد من الزنازين بعضها يبلغ المئات، والزنزانة: غرفة ضيقة محكمة ليس بها إلا نافذة صغيرة عالية قرب السقف، وهي مطلية بطلاء قاتم. وقد أُعِدَّتْ لتكون سجنًا انفراديًّا.. ولكن كثرة المعتقلين الهائلة جعلت جنودَ الطُّغيان يُودعون في الزنزانة الواحدة سبعةً أو ثمانيةً، بل عشرةفي بعض الأحيان.. هذا بالإضافة إلى سجون: القلعة، وقرة ميدان، وطرة، والقناة، والواحات، وغيرها... وقد أصبح السجن الحربي بين هذه السجون علمًا على التعذيب الوحشي، حتى أصبح مجرد ذكر اسمه يثير الرعب. وعلى أرضه قتل العشرات من المُعذَّبين... وأخيرًا وبعد أن أخذ القضاء في مصر شيئًا من الحرية أصدرت محكمة جنوب القاهرة في قضيةٍ واحدةٍ من قضايا التعذيب بتاريخ 30 مارس 1975م مجموعة أحكام.. فقد قررت المحكمةُ تعويض المستشار علي جريشة بمبلغ ثلاثين ألف جنيه... يدفعها شمس بدران وزير الحربية السابق، وورثة حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، وورثة اللواء سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية، والعقيد حسن خليل، والرائد حسن كفافي، والملازم أشرف صفوت الروبي.

وطالبت المحكمة رئيس الجمهورية بهدم السجن الحربي باعتباره شاهدًا على إذلال الشعب وتعذيب أبنائه، واعتبرت المحكمة هذه الأحكام بلاغًا إلى المدعي العام ضدأربعة وزراء عدل سابقين، وهم: بدوي حمودة، وعصام الدين حسونة، ومحمد أبو نصير، ومصطفى كامل إسماعيل.. بتهمة التواطؤ والتستر على جرائم التعذيب والإذلال. وأعلن القضاء براءة البلاد من كل من ساهم في إذلال الشعب وتعذيب أفراده بصورةٍ أو بأخرى.

وما زالت قضايا التعذيب والقتل التي تمت في السجن الرهيب تعرض على القضاء من حين لآخر، وتصدر فيها إدانات قضائية لعصر الإرهاب.. ومن هذه الإدانات التي صدرت عام 1984م: =

مـا كـدتُ أدخـلُ بابَـه حتـى رأت عينـاي مـا لـم تحتسـبه ظنـوني

فـي كـل شـبرٍ للعـذابِ منـاظرٌ ينـدى لهـا -واللهِ- كـلَّ جبـين

فتـرى العسـاكرَ والكـلابَ معـدّةً للـنَهشِ طـوعَ القائـدِ المفتـون

هـذي تعـضَّ بنابِهـا وزميلهـا يعـدو عليـك بسـوطِه المسـنون

ومضـت علـيَّ دقـائقٌ وكأنّهـا ممـا لقيـتُ بهـن بضـعُ سـنين

يا ليت شعري ما دهان؟ وما جرى؟ لا زلـتُ حيًّـا أم لقيـتُ منـوني؟

عجبًـا!! أسـجن ذاك أم هـو غابـة بـرزت كواسـرُها جيـاعَ بطـون؟

أأرى بنـاءً أم أرى شِـقَي رحًـى جبَّـارةٍ للمـؤمنين طَحُـونِ؟

واهًـا!! أفـي حُلَـمٍ أنـا أم يقظـة أم تلـك دار خيالـةٍ وفتـون؟!

لا.. لا أشـك.. هـي الحقيقـة حيَّـة أأشـكّ فـي ذاتـي وعـين يقينـي؟!

هـذي مقدمـة الكتـابِ، فكيـف مـا تحـوي الفصـولُ السـودُ مـن مضـمون؟!

هـذا هـو «الحربـيُّ» معقـلُ ثـورةٍ تـدعو إلـى التّحريـر والتّكـوين!

أصدرت محكمة استئناف القاهرة حكمًا تاريخيًّا ألزمت فيه وزير الدفاع بدفع 89 ألف جنيه تعويضًا لأسرة مواطن مصري من قرية كمشيش، مات في السجن الحربي، من أثر التعذيب الوحشي الذي تعرض له.. وقضت المحكمة برفض كل الدفوع التي تقدم بها وزير الدفاع بعد أن استمعت إلى الشهود الذين عاصروا عمليات التعذيب الوحشية داخل السجن الحربي، كما تبين لها أن رجال المباحث العسكرية في ذلك الوقت قد اقتسموا أموال المواطن المصري ومواشيه وأثاث بيته ووزعوه على أنفسهم بعد أن اطمأنوا لوفاته!!. ووجهت المحكمة في حيثيات الحكم نداء إلى الرئيس محمد حسني مبارك لكي يأمر بهدم السجن الحربي فورًا.. وإزالته من فوق أرض مصر بعد أن ارتكبت فيه أحداث وحشية مزقت كرامة الإنسان المصري.. وأكدت المحكمة: أن وجودالسجن الحربي حتى الآن يُعد عارًا مشينًا على كل مصر.. يشهد على إذلال شعبها، وعلى انتهاك كرامتها، وقالت: إن مصر لن تسترد كرامتها، ولن يعود إليها كبرياؤها وإشراقها ما دام السجن الحربي جاثمًا على صدرها، يُعيّرها ويُهددها بعودة أيام مريرةٍ وسوداء.. ما زالت محفورةً في نفس كل مصري.

فيـــه زبانيـــة أعـــدّوا لـــلأذى وتخصَّصـــوا فـــي فنِّـــه الملعـــون
متبلِّـــدون.. عقـــولهم بـــأكفِّهم وأكفّهـــم للشـــر ذاتُ حنـــين
لا فـرقَ بينهمـو وبـين سـياطِهم كـلٌّ أداةَ فـي يـدي مـأفون!
يتلقفـــون القـــادمين كـــأنهم عثـروا علـى كنـزٍ لـديك ثمـين
بالرِّجْـل.. بالكربـاج.. باليد..بالعصـا وبكـل أسـلوبٍ خسيســسٍ دونِ
لا يقـدرون مُفكِّـرًا ولـو انّـه فـي عقـل سـقراطٍ وأفلاطـون
لا يعبـأون بصـالحٍ ولـو انّـه فـي زُهـد عيسـى أو تُقـى هـارون
لا يرحمـون الشـيخَ وَهْـوَمحطمٌ والظهـر منـه تـراه كـالعُرجون
لا يُشـفقون علـى المـريض وطالمـا زادوا أذاه بقســـوةٍ وجنـــونِ
كـم عـالمٍ ذي هيبـةٍ وعمامـةٍ وطئـوا عمامتَـه بكـلِّ مجـون
لـو لـم تكـن بيضـاء مـا عبثـوا بهـا لكنّهـا هانـت هـوانَ الـدين!
وكبيـر قـومٍ زيَّنتـه لحيـة أغرتّهُمـو بالسَّـبِّ والتّلعـين
قـالوا لـه: انتفهـا -بكـل وقاحـةٍ- لـم يعبـأوا بسِـنِينِه السـتين
فـإذا تقـاعس أو أبَـى يـا ويلـه ممـا يُلاقـي مـن أذى وفتـون!!
أتـرى أولئـك ينتمـون لآدمٍ؟ أم هـم ملاعـينٌ بنـو ملعـون؟!
تـالله أيـن الآدميـة منهمـو؟ مـن مثـل محمـودٍ، ومـن ياسـين؟!
مـن جـودةٍ أو مـن ديـابَ ومصطفى وحمـادةٍ وعطيَّـةٍ وأمـين؟[12]

---

(12) هذه أسماء بعض زبانية العذاب في السجون الحربية في سنوات 54، 55، 1956م، وقد كانوا يختارون من الجنود الفسقة القساة المعروفين بميولهم الإجرامية، ثم يحشون رؤوسهم بمعلومات كاذبة عن الإخوان.. ويُغرونهم بمكافآت مالية باهظة، وعلاوات استثنائية سميت «علاوة إجرام»، وكلما زاد أحدهم في إجرامه ووحشيته انهالت عليه الترقيات والعلاوات والمكافآت، ومع هذا هناك منهم مَن تأثر بالإخوان وتاب على أيديهم.

لا تحسبوهم مسلمين من اسمهم ... لا دينَ فيهم غير سبِّ الدين!
لا دين يردع.. لا ضمير محاسبٌ ... لا خوف شعبٍ.. لا حمى قانون
مَن ظن قانونَا هناك فإنما ... قانونُنا هو «حمزة البسيوني»[13]
جلاد ثورتهم وسوط عذابهم ... سمَّوه زورًا قائدًا لسجون!
وجه عبوسٌ قمطرير حاقدٌ ... مستكبر القسمات والعِرْنين
في خده شج ترى من خلفه ... نفسًا معقدةَ وقلبَ لعين
متعطشٌ للسوء، في الدم والغِ ... في الشرّ منقوعٍ به معجون
هذا هو الحربي معقل ثورةٍ ... تدعو إلى التطوير والتّحسين!!
هو صورةَ صغرى استُعيرت من ... في ضيقِها وعذابها الملعون
هو مصنعٌ للهول كم أهدى لنا ... صورًا تُذكِّرنا بيوم الدين
هو فتنة في الدين لولا نفحة ... من فيضِ إيمانٍ وبرد يقين
قلْ للعواذل إن رميتم مصرنا ... بتخلف التّصنيع والتعدين
مصر الحديثة قد علتْ وتقدّمتْ ... في صنعة التّعذيب والتقرين!!
وتفننتْ -كي لا يمل مُعذبٌ- ... في العرض والإخراج والتّلوين!!

---

(13) حمزة البسيوني ضابط كان برتبة مقدم «بكباش» عام 1954م، وهو قائد السجون الحربية حينذاك، وبقي قائدًا لها في هذه المحنة (1965م) هذا الضابط المأفون يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كرباج جلاد، وبين فكيه لسان «شرشوح»، لا دين له، ولا خلق، قال مرة للإخوان: هاتوا لي ربكم وأنا أحطه في زنزانة!! لعنه الله. والجدير بالذكر أنه طرد من الجيش في مطلع الثورة أيام حملات التطهير، ثم أعاده الرئيس خصيصًا لتعذيب الإخوان، ولقد لقي حمزة البسيوني بعض جزائه في الدنيا.. فقد أماته الله شر ميتةٍ.. حيث صدم بسيارته شاحنة كبيرة من الخلف محملة بأسياخ الحديد.. فدخلت الأسياخ في جسمه، وأخذ يصيح ولا منقذ.. واجتمع الناس من حوله في طريق القاهرة الإسكندرية وهم ينظرون إليه ويقولون: هذا جزاء الظالمين.. إن الله يُمهل ولا يهمل.

أسـمعتَ بالإنسـان يُـنفخ بطنَـه حتى يُرى في هيئة «البالون»؟!
أسـمعتَ بالإنسـان يُضـغط رأسُـه بـالطوقِ حتـى ينتهـي لجنـون!
أسـمعتَ بالإنسـان يُشـعل جسـمُه نـارًا وقـد صـبغوه «بـالفزلين»؟
أسمعتَ ما يلقى البريءَ ويصطلي حتى يقول: أنا المسيء.. خذوني!
أسـمعتَ بالآهـات تختـرق الـدّجى ربـاه عـدلك.. إنهـم قتلـوني!!
إن كنتَ لم تسمع فسلْ عمَّا جرى مثلـي.. ولا يُنبيـك مثـل سـجين
واسأل ثرى «الحربي» أو جدرانَه كـم مـن كسـيرٍ فيـه أو مطعـون!؟
وسل السِّياطَ السودَ كم شربت دمًا حتـى غـدت حمـرًا بـلا تلـوين!
وسل «العروسة» قبِّحتْ من عاهر كـم مـن جـريحٍ عنـدها وطعـين
كـم فتيـة زُفـوا إليهـا عنـوةَ سـقطوا مـن التّعـذيب والتّـوهين
واسأل «زنازين» الجليد تُجبك عن فـنِّ العـذاب، وصـنعة التّلقـين
بالنـار أو بـالزّمهرير.. فتلـك فـي حـين، وهـذا الزمهريـر بحـين
يلقـى الفتـى فيـه ليـالي عاريًـا أو شـبه عـارٍ فـي شـتا «كـانون»
وهناك يُملى الاعترافُ كما اشتهوا أو لا.. فويـل مخـالفٍ وحـرون
وسل «المقطم» وهو أعدل شاهدٍ كم من شهيد في التلال دفين[14]

---

(14) يظن بعض الناس أن شهداء الإخوان الذين قتلهم الظالمون هم الستة الذين شنقوا علنًا بحكم المحكمة الهزلية التي سُميت زورًا «محكمة الشعب»، والحقيقة أن شهداء الإسلام الذين قتلوا في العهد الناصري في مصر كثيرون جدًّا. يكفي أن تضيف إليهم 24 شهيدًا أطلقت عليهم المدافع الرشاشة داخل سجن ليمان طرة مع أنهم سجناء. والتحقيقات التي أجريت في السجن أدت إلى مقتل خمسة وتسعين من الإخوان تحت سياط الزبانية المتوحشين وأدوات التعذيب وأساليبه التي نقلوها من خبراء النازية والشيوعية... ومن هؤلاء الذين سقطوا صرعى العذاب: محمود يونس، حسين شعبان، والشيخ محمد الديب، ومحمد عطوة، وعلي الخولي، ومحمود أبو الخير، وغيرهم. =

قتلتــه طغمــة مصــر أبشــع قتلــة   لا بالرصــاص ولا القنــا المســنون
بـــل علّقـــوه كالذبيحـــة هُيئـــت   للقطـــع والتّمزيـــق بالســـكين..
وتهجـــدوا فيـــه ليـــالي كلهـــا   جلـدٌ، وهـم فـي الجلـد أهـلُ فنـون!
فـإذا السِّـياط عجـزنَ عـن إنطاقـه   فـالكي بـالنِّيران خيـر ضـمين!!
ومضــت ليــالٍ والعــذاب مُسَــجَّرٌ   لفتــى بأيــدي المجــرمين رهــين
لــم يعبــأوا بجراحــه وصــديدها   لــم يســمعوا لتــأوهٍ وأنـــين
قــالوا: اعتــرف أو مــتْ.. فأنــت مخبَّـــبٌ!!   فــأبى الفتــى إلا اختيــار منــون
وجـرى الـدمُ الـدّفاقُ يسـطرُ فـي الثـــــءِ:   يـا إخـوتي استُشـهدتُ فاحتسـبوني
لا تحزنـــوا، إنـــي لربـــي ذاهـــبٌ   أحيــا حيــاةَ الحــرِّ لا المســجون
وامضوا على دربِ الهدى لا تيأسوا   فاليـأس أصـلُ الضـعف والتّـوهين
قولـوا لأمـي: لا تنـوحي واصبري   أنــا عنــد خــالقِيَ الــذي يهــديني
أنــا إن حرمــتُ وداعَكـم لجنــازتي   فملائــكُ الــرحمن لــم يــدَعُوني
إن لـم يُصلِّ علـيَّ فـي الأرض امرؤٌ   حســـبي صـــلاتُهمو بعلِيـــين
أنـا فـي جـوار المصطفى وصحابه   أحظـــى بـــأجرٍ لـــيس بـــالممنون
أنـا فـي رُبـا الفـردوس أقفـز شـاديًا   جــذلان كالعصــفور بــين غصــون
ولــدانها فـــي خــدمتي، وثمارهــا   فــي قبضــتي، ونعيمهــا يــدعوني
وإذا حرمـتُ العرس في الدنيا فلي   مــا شــئتُ فيهــا مــن حســانٍ عــين
أمَّـــاه حســـبك أن أمـــوتَ مُعـــذبًا   فـــي الله لا فـــي شـــهوةٍ ومجـــون
مـا خنـتُ دينـي أو حمـاي، ولـم أكن   يومًـــا علـــى حُرماتـــه بظنـــين
فليسـألوا عنـي «القنـاة» ويسـألوا   عنـــي «اليهـــودَ» فطالمـــا خبرونـــي

سُحقًا لجزارين كم ذبحوا فتًى مستهترين كأنَّه ابن لبون[15]!!
فإذا قضى ذهبوا بجثته إلى تل المقطم وهو غير بطين[16]
لفوه في ثوب الدّجى وتسللوا سارين بين مغاورٍ وحزون
واروه ثم محوا معالم ومسِه فغدا كسرٍّ في الثرى مكنون
أخفوه عن عين الأنام وما دروا أن الإله يحوطهم بعيون
الليل يشهد والكواكب والثرى وكفى بهم شهداء يوم الدين
قالوا: محاكمة، فقلت: رواية أعطَوا لمخرجها وسامَ فنون!
هي شرٌّ مهزلةٍ ومأساةٍ معًا قد أضحكتني مثل ما تبكيني!!
أوعت سجلات القضاء قضية كقضية «الإخوان» أين؟ أروني؟
الخصم فيها مدّعٍ ومحققٌ وهو الذي يقضي بلا قانون
إلا هواه.. وما يدور برأسِه من خلط سكيرٍ ورأي أفين
أرأيت محكمة ترأسها امرؤٌ يدعوه من عرفوه «بالمجنون»[17]
أرأيت أحرارًا رموا بهمو لدى قاضٍ عديم دينه مأبون[18]
أرأيت إنسانًا يُدان لقوله الله ربي، والحنيفة ديني؟!
أو قال: يا قوم ارجعوا لكتابكم طوق النجاة لكم، بكل يقين!
يا سوء حظِ فتًى رأوا بسجله شرفَ الجهاد لعصبة الصَّهيون!

---

(15) ابن اللبون: ابن الناقة ذات اللبن، وهو الذي أتم سنتين ودخل في الثالثة.

(16) البطين: البعيد.

(17) هو البكباشي جمال سالم الذي دخل مستشفى الأمراض العقلية غير مرة. ثم عيَّنه فرعون مصر ليحاكم قادة الدعوة الإسلامية أمثال: حسن الهضيبي، والشهداء: عبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وسيد قطب، وقد أقصاه فرعون بعد ذلك، ومن أعان ظالمًا سُلِّط عليه، سنة الله في خلقه.

(18) المأبون: المتهم.

أو كـــان يومًـــا فـــي كتيبـــة فتيـــةٍ شـــهرت بنادقهـــا علـــى السّكســـون!
أو كـــان حـــافظ «آل عمـــران» فقـــد ظفـــروا بســـلطانٍ عليـــه مبـــين!
هـذي الجـرائم عنـد محكمـة الـرَّدَى هـــي غـــرة تزهـــو بـــأي جبـــين
والويـــل لامـــرئ اســـتباح لنفســـه إظهـــارَ تعـــذيب ودفـــع ظنـــون
ســـيعود «للحربـــي» يأخـــذ حظَـــه وجـزاءَه الأوفـى مـن «البسـيوني»
أنـــا إن نســـيتُ فلســـتُ أنســـى ليلـــة فـــي ســـاحة الحربـــي ذات شـــجون
عـدنا المسـاء مـن المحاكمـة التـي كانـــت فصـــول فكاهـــة ومجـــون
مـا كـاد يعرونـا الكـرى حتـى دعـا داعي الردى.. وكفاك صوت أمين[19]
فتجمـع «الإخـوان» ممـن حُوكمـوا ذا اليـوم مـن طنطـا إلـى بسـيون
أمـا الأولَـى سيُحاكمون فأحضـروا ليـــروا يقينَـــا لـــيس بـــالمظنون
وإذا بقائـــدِنا المظفـــر حمـــزة! فـي عسـكرٍ شـاكي السـلاح حصـين
حشـد الجنـودَ وصـفّها بمهـارةٍ وكأنّـــه عمـــرو بأجنـــادين!!
وأحاطنـــا ببنـــادقٍ ومـــدافع فغـرت لنـا فاهـا كفـي التنـين!!
طـابور «تكـدير»[20] ثقيـلٌ مُرهِـقٌ فـــي وقـــت أحـــلام وآن ســـكون
نعـدو كمـا تعـدو الظِبـاء يسـوقنا لهـبُ السِّياط شكت مـن التّسـخين
ومضـــت علينـــا ســـاعتان وكلّنـــا عـرقٌ تصـبَّب مثـل فـيض عيـون
مـن خـرَّ إغمـاءً يُفـق عجـلًا علـى ضـربات صـوت للعـذاب مهـين
ومَـــن ارتمـــى فـــي الأرض مـــن شـــيخوخة أو علـــةٍ.. داســـوه دوس الطـــين

(19) أمين السيد رقيب أول «باشجاويش» السجن الحربي، كان في يده سلطات مطلقة، ويستطيع أن يُعذب إلى حد الموت، وكان يرى نفسه كأنَّه أحد قادة الثورة!

(20) التكدير: كلمة من الكلمات المستخدمة في السجن الحربي، وهو لون من العقوبة للمساجين بحرمانهم من الخروج من الزنزانة، ونحو ذلك. ثم استخدمت فيما هو أكثر من ذلك.

لـم يكـف حمـزةَ كـلَّ مـا نؤنـا بـه ... مــن فــرط إعيــاءٍ ومــن تــوهين
فــأتى يــوزِّع بــالمفرَّق دفعــه ... بالسـوط مـن عشـرين للخمسـين
كــلَّ ينــال نصــيبَه بنزاهــةٍ ... فــي العـد والإتقـان والتّحسـين!!
وإذا نسـيتُ فلسـتُ أنسـى خطبـة ... مـا زال صـوتُ خطيبهـا يُشـجيني
إذ قـال حمـزة -وهـو مُنـتفخٌ- فلـم ... يتــرك لفرعــون ولا قــارون:
أين الألَى اصطنعوا البطولة وادّعوا ... أنــي أعــذبهم هنــا بســجوني!
أظننتمــو هــذا يُخفــف عنكمــو؟ ... كـلّا، فـأمركم انتهـى، وسـلوني؟!
أم تحسـبون كـلامَ ألـفٍ منكمـو ... عـنكم وعـن تعـذيبكم يُثنينـي؟!
إنـي هنـا القـانون، أعلـى سـلطةٍ ... مَـن ذا يُحاسـب سـلطة القـانون؟!!
متفــرِّدٌ فــي الحكــم دون معقِّــبٍ ... مَـن ذا يُخـالفني ومَـن يعصـيني؟!
فــإذا أردتُ وهبــتُكم حريــة ... أو شـئتُ ذقـتم مـن عـذابي الهـون
مَــن منكمــو ســامحتُه فبرحمتــي ... وإذا أبيــتُ فــذاك طــوعُ يمينــي
ومَـن ابتغـى موتًـا فهـا عنـدي لـه ... مــوتٌ بــلا غســلٍ ولا تكفــين!!
يـا فـارس الـوادي وقائـدَ سـجنه ... أبنــو الكنانــة أم بنــو صــهيون؟!
هـلا ذهبـتَ إلـى الحـدودِ حميتهـا ... وأريتنــا أفكــارَ نــابليون؟!
اذهـب لغـزةَ يـا همـام وأنسِـنا ... بجهـادِك الـدامي صـلاحَ الـدين!!
أفعنـدنا كـبش النطـاح.. ونعجـة ... فـي الحـرب جمـاء بغيـر قـرون؟!
أعرفـتَ مـا قاسـيتُ فـي زنزانـة ... كانـت هـي القبـر الـذي يُـؤويني؟!
لا بل ظلمتُ القبر، فهو لذي التقى ... روض، وتلـك جحـيم أهـل الـدين!
هـي فـي الشـتاء وبـرده «ثلاجـة» ... هـي فـي هجيـر الصـيفِ مثـل أتـون
نَلقَــى ثمانيــة بهــا أو ســبعة ... مُتــداخلين كعلبــة «السَّــردين»

هـي مُنتـدانا وهـي غرفـة نومنـا وهـــي «البوفيـــه» وحجـــرة «الصـــــــــــــالون»

هـــي مســـجدٌ لصـــلاتنا ودُعائنـــا هـــي ســـاحة للعـــب والتّمـــرين

وهي «الكنيف» وللضّرورة حكمُها مـا الـذنب إلا ذنـبُ مَـن سـجنوني

هـي كـل مـالي فـي الحيـاة فلـم يعد فـي الكـون مـا أرجـوه أو يرجـوني

الأرض كـلّ الأرض عنـدي أرضـها أمَّـــا الســـماء فســـقفها يعلـــوني

فيها انقطعتُ عن الوجود فلم أعُد أعنيـــه فـــي شـــيءٍ ولا يعنينـــي..

لا أعرف الأنبـاء عن دنيـا الـوَرَى إلا مـــن الأحـــلام لـــو تـــأتيني!

يبكـي الأقـاربُ غيبـة حسـبوا لهـا شـــهرين فامتـــدت إلـــى عشـــرين

ولكـــم وفـــيّ زار أهلـــي ســـائلًا عنـــي برفـــقٍ علَهـــم عرفـــوني!

والأهـل لا يـدرون: هـل أنـا ميـتٌ فقـــدوه أم حـــيٌّ فيرتقبـــوني؟!

كـم شـاعر فقـد الرجـاءَ بعـودتي فأعـــدّ فـــيَّ قصـــيدةَ التّـــأبين

هـذا نصـيبي يـا أخـي مـن ثـورةٍ قـد كنـتُ أحسـبها أتـت تحمينـي

حظـــي بهـــا زنزانـــة صـــخرية سـوداء مثـل قلـوب مَـن أسـروني

كـم مـن ليـالٍ بتّهـا أشـكو الطَـوى والبـرد، لكـن أيـن مَـن يشـكيني؟

هـم «كـدّروني» لا طعـامَ أذوقـه لا شـيء مـن بـرد الشِّـتاء يقينـي

فـإذا انقضـى التّكـدير جـاء طعـامُهم دكنَـــا كأفكـــار الألَـــى اعتقلـــوني

ضـــرب مـــن التّعـــذيب إلا أنّـــه لا بـــد منـــه لسـدِّ جـوع بطـون

ففطورنـا عـدسٌ مُـزين بالحصـى إنّ الحصـــــى فـــــرض علـــــى

قـد عفتُـه حتـى اسـمه وحروفـه مـــنْ عينـــه أو دالـــه والسّـــين (21)

وغـداؤنا «فاصـولية» ضـاقتْ بهـا نفسـي، فرؤيـة صـحنِها تُـؤذيني

---

(21) التعيين في السجن: هو ما عُيِّن لكل شخص من الطعام.

وعشـاؤنا شـيءٌ يُحيـرك اسـمه فكأنّمـا صـنعوه مـن غِسـلين
لا طعـم فيـه ولا غـذاء وإنّمـا يحلـو لنـا مـن قلـة التّمـوين
طبـق يُكـال لسـبعةٍ أو نصـفه وعلـيَّ أن أرضـى وقـد ظلمـوني
لـو أنّ لـي فـي جوفهـا حريـة لرضـيتُ.. لكـن أيـن مـا يُرضـيني؟
مـن أجـل ضـبط وُريقـةٍ أو إبـرةٍ ولغيـر شـيءٍ.. طالمـا اسـتاقوني
وتجمَّعـوا حـولي ضـواري همَّهـا نهشـي.. ومـا لـي حيلـة تُنجينـي
إن نمـتُ تُـوقظني السِّـياط سـريعة فـالنوم لـيس يُبـاح للمسـجون!
وإذا تحـدّثنا لنـذهب بـالكرى حظـروا الحـديثَ علـيَّ كـالأفيون!
وإذا شُـغلنا بـالقراءة وقتنـا أخـذوا جميـعَ الكُتّـب للتخـزين!
وإذا تلونـا فـي المصـاحف حرَّمـوا حمـل المصـاحف وهـي خيـرُ
وإذا تسـلينا بصـنع مسـابح جمعوا المسابح من نـوى الزيتـون(22)
هـذي سياسـتهم، وتلـك عقـولهم: عيشـوا بغيـر تحـركٍ وسـكون!
إيَّـاكمو أن تشـتكوا أو تـألموا موتـوا بغيـر توجـع وأنـين!
يـا ويـلَ مَـن قـد مسَّـه لهـب الظمـا فـدعا بلطـف للجنـود: اسـقوني

(22) أراد فرعون وأتباعه أن يتفادوا النتائج التي أدَّت إليها معتقلات فاروق وإبراهيم عبد الهادي في سنة 1949م، فقد جعل الإخوان معتقل الطور جامعًا للعبادة، وجامعة للعلم، ونواديًا للرياضة، ومعسكرًا للتدريب، ومؤتمرًا للتعارف والتشاور، حتى قال أحد الإخوان: معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين عام 1949م، السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصرية!

ولكن الحكام الجدد حرَّموا في معتقلاتهم على الإخوان كل تجمع أو لقاء يتعارفون فيه ويتآلفون، بل حظروا عليهم اصطحاب الكتب ليحرموهم من الدراسة التي تُوضح فكرتهم وتثبتهم عليها.. بل حرموهم من المصاحف نفسها، حتى لا تكون التلاوة أنسًا لقلوبهم، وزادًا لعقولهم وأرواحهم.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يخمدوا جذوة الإيمان في صدورهم.

فهنـاك يُسـقى المـر مـن أيـديهمو ... مــن كــل مســعور عليــك حــرون
فالسوط حـلّال المشـاكل، لـم يضـق ... يومًـــا بطـــول مـــآربٍ وشـــؤون
مَن راح يشكو الجوع فهو غذاؤه ... ومَــن ابتغــى ريًّــا فــأيُّ مَعــين!
ومَن اشـتكى الإسـهالَ يُجلد عشرةَ ... هــي وصــفة «الثــوار» للمبطــون!
ومَن اشـتكى وجـع الصداع فمثلهـا ... أو ضــعفها بمكــان «الإســبيرين»
ومَـن اشـتكى مـن سُـكّر فبنحوهـا ... يجــد العليــل أعــز «أنســولين»
هـذا اكتشـاف الثـورة الفـذ الـذي ... فخـرت بـه مصـر علـى «بـرلين»!
يا عصبة «الباستيل» دونكمو، فلن ... آسى على الإغلاق «والتـأمين»[23]
سـدوا علـيَّ البـابَ كـي أخلـو إلـى ... كتبي، فلي في الكتب خير خَدينِ[24]
وخذوا الكتابَ، فإن أنسي مصحف ... أتلـــوه بالترتيـــل والتلحـــينِ
وخذوا المصاحف، إنّ بين جوانحي ... قلبًـــا بنـــور يقينـــه يهـــديني
اللهُ أســـعدني بظـــل عقيـــدتي.. ... أفيســتطيع الخلــقُ أن يُشــقوني؟!
لحسـاب مـن هـذا الأتـون مُسـجَّر ... يُلقَـــى لـــه بـــالفحم والبنـــزينِ؟
لحسـاب مَـن بطشـوا بـأطهر ثلّـةٍ ... روَّت دماهـا أرض «فيلسـطين»؟
لحسـاب مـن ضـربوا بطولـة فتيـة ... بعثـوا صـلاح الـدين فـي حطـينِ؟
لحساب من مكروا بإخوة «غانم» ... وابـــن «المنيســـي» والفتـــى [illegible] [25]
لحســاب مَــن شــنقوا المجاهــدَ ... و«الفرغلـــــي» محـــــارب [illegible] [26]

(23) التأمين: مصطلح عندهم يعني إغلاق باب الزنزانة على السجين بالقفل.
(24) الخدين: الصديق.
(25) عادل غانم وأحمد المنيسي وعمر شاهين شهداء الإخوان من طلاب الجامعة في معارك القناة سنة 1951م.
(26) الشهيدان يوسف طلعت والشيخ محمد فرغلي من أبطال الجهاد وقادته ضد الإنجليز وضد

لحساب مَن غدروا بـ«عودة»[27] من غير سلطانٍ عليه مبينِ؟
لحساب مَن قتلوا وما قد شوَّهوا من أوجه أو أظهر وبطونِ؟
مَن عذبوا، مَن شردوا، مَن جوَّعوا ومَن استذلوا من ليوث عرينِ؟
ألمصر؟ كيف، ونحن صفوةَ جندها في يوم حربٍ للعدو زبونِ؟
أم للعروبةِ في قضيتها التي أغنى بها الشّهداء عن تبييني؟
أم يا تُرى لقضية الإسلام في أوطانه من طنجةٍ لبكينِ؟
ألمسلمي الأحباش أم لأرتريا؟ من كل مرتقب لعون معينِ؟
أم للألى يفنون في القوقاز أو مَن ذبّحوا في الهند أو في الصينِ؟
لا لا وربي، إنني لأقولها بالجزم لا بالخَرْص والتّخمينِ
لحساب من هذا أتدري يا أخي؟ لحساب الاستعمار الصَّهيون
أرضى بنا الطّاغوت سادتَه لكي يعدوه بالتثبيت والتّأمينِ
فالقوم يخشون انتفاضة ديننا بعد الجمود وبعد نوم قرونِ
يخشون «يعرب» أن تجود بخالدٍ وبكل «سعدٍ» فاتح ميمونِ
يخشون «أفريقيا» تجود بطارقٍ يخشون تركيا كنور الدينِ
يخشون دين الله يرجع مصدرًا للفكر والتّوجيه والتقنينِ
ويرون كلّ تكتلٍ يدعو له خطرًا وخصمًا ليس بالمأمونِ
وهنا بدا البطلُ الهمام مُنفذا لمخطط التبشير والماسونِ

= اليهود، يعرف ذلك أهل الإسماعيلية والقناة، كما يعرف ذلك أهل فلسطين. وهذا كان جزاؤهما الإعدام شنقًا!!

(27) الشهيد عبد القادر عودة الفقيه الإسلامي الكبير، الذي شهد له رجال الشريعة والقانون بالأصالة وسعة العلم وطول الباع. ومؤلف «التشريع الجنائي في الإسلام» وغيره من الكتب القيمة.. التي جازاه حاكم مصر عليها بالإعدام!!

ليُسدد الضربات في عنفٍ إلى أقوى بناء للدّعاة متينِ
ليقول للرَّقباء: قروا أعينَا أنا باقتلاع الأس جد قمينِ[28]
وكذاك قام «كمالهم»[29] في تركيا ليطارد الإسلام كالمجنونِ
واليوم سار «جمالهم» في خطه بتدرجٍ وتخابُثٍ ملعونِ
ذاك امرؤ عارٍ، وهذا ماكرٌ متلون يحكي أبا قلمونِ
يا مصر حظك مثل حظي عاثرٌ كم قد نكبت بغاشم وخئونِ!
قلنا: انقضى عهدُ الظلام وأقبلت مصر على عهدٍ أغر مكينِ
يمضي بأمتنا على سنن الهدى ويردها لتراثها الميمونِ
ويُعيد عهد الرَّاشدين يمده عزّ الرشيد ونهضة المأمونِ
أملٌ أضاء -كلمحةٍ- في ثورةٍ كنا لها في الروع خير معينِ
فإذا الذي ثرنا عليه تُعيده كالثور حين يدور في الطَاحونِ!
ثرنا على ملكٍ، فجاءوا عشرةً! كل يريد الملكَ غير رزينِ
وإذا رئيسهمو يرى في نفسِه ملك الملوك ووارث الفرعونِ
في نفسه ودمائه: «أنا ربّكم» لا تجعلوا ربًّا لكم من دوني!
ثرنا على الأحزابِ في تضليلها للشعب.. في توجيهها اللا ديني
ما بالها رجعتْ لنا حزبية عمياء ذات دعاية وطنينِ؟
تدع البناء يكاد يهوي ركنه وتهيم بالتّزويق والتّزيينِ!
صحف ومذياع وسيل دعاية متدفق النَشرات جد هتون

---

(28) قمين: جدير.

(29) «كمال أتاتورك» عدو الإسلام والمسلمين الذي تآمر على الخلافة وألغاها في تركيا عام 1924م.. هذا العميل سار على نهجه بعضُ الحكام وقاموا بمحاربة الحركة الإسلامية التي تربي الشباب على الإسلام، وتعمل لإعادة الخلافة إلى أرض الإسلام.

خطـب تُـوزع للعُـراة ليكتسـوا وصـحافة تُهـدى إلـى المسـكينِ!!
أكـداس أرقـام ولسـتَ تـرى لهـا آثـرًا سـوى عُـري وجـوع بطـونِ
بـــرق ولا مطـــر، وأوراق ولا ثمـــر، وجعجعـــة بغيـــر طحـــينِ!
ثوريـــــة هدّامـــــة شـــــريرة باسـم البنـاء تهـدّ كـل حصـينِ
كانـت علـى الإسـلام فـي أوطانـه شـرًّا مـن السكسـون واللاتـينِ
نصـبت مشـانقَها لقتـل دُعاتـه بغيًـا، بـلا شـرع ولا قـانونِ
ومضت تصُبُّ على الألوف عذابها مـن كـل ذي ثقـةٍ بهـذا الـدينِ
سـاءت لعمـري ثـورةَ مشـئومة لـم نجـنِ منهـا غيـر تـلّ ديـونِ
يجري الخرابُ وراءها أنى جرت وتقـول بـالتطوير والتّحسـينِ!
يـا ثـورة كنـا حمـاة ظهورِهـا صـرنا وقـود وطيسـها المجنـونِ
قـالوا: مباركـة.. ومـا كانـت سـوى حمـى علـى الأحـرار أو طـاعونِ!
يـا هـرَّة أكلـت بنيهـا غـدرةَ قبّحـت أمًّـا كنـت غيـر حنـونِ!
أفهكـذا يجـزى الجميـل بضـده؟ أيـن الوفـاء وأهلـه. دلـوني؟
واهًـا لهـم، كمـا أسـرفوا وتحيَّـروا فـي وصـفنا مـن يسـرةٍ ليمـينِ!
قـالوا -ويـا لضـلال مـا قـالوا- فكـم كـالوا لنـا تُهمًـا بمحـض ظنـونِ!
وعزاؤنـــا أن النبـــي -فديتـــه بـأبي وأمـي- كـم رُمـي بطعـونِ!
مـن سـاحرٍ حينَـا، لبـاغٍ، مفتـرٍ أو كـاهنٍ، أو شـاعرٍ مجنـونِ!
قـالوا كـذابًا: دعـوةَ رجعيـة معزولـة عـن قرنهـا العشـرين!
النـاس تنظـر للأمـام، فمـا لهـم يـدعوننا لنعـود قبـل قـرون؟
رجعيـــة أنـــا نغـــار لـــديننا ونقـوم بـالمفروض والمسـنون؟!
رجعيـة أنـا نصـون حريمنـا! بـئس الحـريم يكـون غيـر مصـونِ!

رجعيـــة أنـــا نـــذرنا أنفسًـــا   لله تحيــــا، لا لعـــــيشٍ دون!
رجعيـــة أنـــا نربـــي جنـــدنا   للحـــقِ، لا لتفاهـــةٍ ومجـــونِ!
رجعيـــة أن الرســـول زعيمنـــا   لسنا الذيول لـ«ماركس» و«لنين»!
رجعيـــة أن الجهـــاد ســـبيلُنا!   نعـم الجهـاد ذريعـة التمكـينِ!
رجعيـة أن يحكـم الإسـلامُ فـي   شـعبٍ يـرى الإسـلام أعظـم ديـنِ!
أولـيس شـرع الله، شـرع محمـد   أولـى بنـا مـن شـرع نـابليونِ؟!
يـا رب إن تـكُ هـذه رجعيـة   فاحشـرنِ رجعيًّـا بيـوم الـدينِ!
قـل للـذي جعـل الكنانـة كلهـا   سـجنًا وبـات الشـعبُ شـر سجين
يـا أيهـا المغـرور فـي سـلطانه   أمـن النّضـار خلقـت أم مـن طـين؟
يـا مـن أسـأت لكـل مـن قـد أحسنوا   لـك دائنـين فكنـتَ شـرَّ مـدين
يـا ذئـب غـدر نصـبوه راعيًـا   والـذئب لـم يـك سـاعة بـأمين
يا مَن زرعتَ الشر لن تجني سوى   شـرّ وحقـد فـي الصـدور دفـين
سيزول حكمُك يا ظلوم كما انقضت   دولٌ أولات عسـاكر وحصـون
سـتهب عاصـفة تـدك بنـاءَه   دكًّـا.. وركـن الظلـم غيـر ركـين
مـاذا كسـبتَ وقـد بـذلتَ مـن القـوى   والمـال بـالآلاف والمليـون؟
أرهقـتَ أعصـاب الـبلاد ومالهـا   ورجالهـا فـي الهـدم لا التّكـوين
وأدرت معركـة تـأجج نارهـا   مـع غيـر «جـون بـول» ولا «كـوهين»
هـل عـدتُ، إلا بالهزيمـة مـرةً   وربحـت غيـر خسـارة المغبـون؟!
وحفـرت فـي كـل القلـوب مغـاورًا   تهـوي بهـا سُـفلًا إلـى سـجين
وبنيـتَ مـن أشـلائنا وعظامنـا   جسـرًا بـه نرقـى لعليـين
وصـنعتَ باليـد نعشَ عهـدك طائعًا   ودققـتَ إسـفينًا إلـى إسـفين

أظننتَ دعوتنا تموت بضربةٍ؟ خابت ظنونَك، فهي شر ظنون!
بليتْ سياطُك، والعزائم لم تزل منا كحدِّ الصارم المسنون!
إنا لعمري إن صمتنا برهة فالنار في البركان ذات كمون!
تالله ما الطغيان يهزم دعوةَ يومًا، وفي التاريخ بر يميني
ضع في يدي القيد، ألهب أضلعي بالسوط، ضع عنقي على السّكين!
لن تستطيع حصارَ فكري ساعة أو نزع إيماني ونور يقيني!
فالنور في قلبي.. وقلبي في يدي ربي.. وربي ناصري ومُعيني!
سأعيش مُعتصمًا بحبل عقيدتي وأموت مُبتسمًا ليحيا ديني!
صبرًا أخي في محنتي وعقيدتي لا بد بعد الصَّبر من تمكينِ
ولنا بيوسفَ أسوة في صبره وقد ارتمى في السّجن بضع سنينِ
هوِّن عليك الأمرَ لا تعبأ به إنّ الصِّعاب تهون بالتهوينِ
أمس مضى، واليوم يسهل بالرِّضا وغد ببطن الغيب شبه جنينِ
لا تيأسن من الزمان وأهله وتقل مقالة قانط وحزينِ..
شاة أسمنها لذئبٍ غادر يا ضيعة الإعداد والتّسمينِ!
فعليك بذر الحَبِّ لا قطف الجنى والله للسَّاعين خير معينِ
سنعود للدنيا نَطِبُّ جراحَها سنعود للتّكبير والتأذينِ
ستسير فلكُ الحق تحمل جندَه وستنتهي للشَّاطئ المأمونِ
بالله مجراها ومرساها، فهل تخشى الرَّدى، والله خير ضمينِ؟
يا ربّ خلص مصر من أعدائها وأعن على طاغوتاها الملعونِ
يا ربّ إنّ السيل قد بلغ الزّبَى والأمر في كافٍ لديك ونونِ
باسم الفراخ الزّغب هيض جناحهم فقدوا الأب الحاني بغير منونِ

بـــدموع أمٍّ روَّعوهـــا فـــي ابنهـــا وبكـــل دمـــعٍ فـــي العيـــون ســـخينِ
بـــدعاء شـــيخٍ شـــرَّدوا أبنـــاءه مـــا بـــين معتقـــلٍ وبـــين ســـجينِ
بســـهادِ زوج غـــاب عنهـــا زوجُهـــا فـــدعت لفـــرط جـــوًى وفـــرط حنـــينِ:
ربّـــاه رد علـــيَّ مـــؤنس وحشـــتي وأغـــث بعودتـــه جيـــاعَ بنينـــي
يا مَن أجبت دعاء نوح «فانتصر» وحملتـــه فـــي فلكـــك المشـــحونِ
يـــا مَـــن أحـــال النـــارَ حـــول خليلـــه روحًـــا وريحانًـــا بقولـــك: «كـــوني»
يـا مَـن أمـرتَ الحـوت يلفـظ يُونسًـا وســـترته بشـــجيرة اليقطـــينِ
يـــا ربّ إنـــا مِثلـــه فـــي كربـــةٍ فـــارحم عبـــادًا كلهـــم «ذو النـــون»!

* * *

القصيدة السابعة

السعادة

هذه القصيدة قالها الشاعر في التأمل نظمها عام 1956م في السجن الحربي.

وقد قامت بنشرها عدة مجلات، منها مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقية، ومجلة «منبر الإسلام» القاهرية، ومجلة «التربية الإسلامية» العراقية. وتم نشرها أيضًا في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».

وتبلغ أبيات القصيدة مئة وأربعة وسبعين بيتًا.

* * *

السعادة[30]

أمـــل إليـــه هفـــت قلـــو ب النـــاس فـــي الـــزمن التّليـــد
أمـــل.. لـــه غـــورُ القـــديم كمـــا لـــه ســـحر الجديـــد
أمـــل.. إليـــه ســـعى الملـــو كُ كمـــا إليـــه رنـــا العبيـــد
وتزاحمـــوا كـــالهيم يـــد فعهـــا الصَّـــدى عنـــد الـــوُرود
وتســـاءَلوا عنـــه، ولكـــن مَـــن يُجيـــب؟ ومَـــن يُفيـــد؟
فمُشـــرِّقٌ.. ومُغـــرِّبٌ وكلاهمـــا يرجـــو البعيـــد
عـــادوا وكـــلّ ســـؤالهم: أيـــن السَّـــعادة والسَّـــعيد؟
وتخـــالفوا، ولكـــل قـــو م وجهـــة، ولهـــم عميـــد

* * *

(30) كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث» (37/3).

الثَّراء!

قــالوا: الســعادة فــي الغِنَــى فــأخو الثــراء هــو الســعيد
الأصـــــفر الرَّنَـــــان فـــــي كفَيـــه يلـــوي كـــلَّ جيـــد
يرمـــي بـــه شَـــرَكًا يصيـــ ـــد مـــن الرَّغائـــب مـــا يصـــيد
وبـــه يـــدينُ لـــه العَصِـــيُّ وقـــد يلـــينُ لـــه الحديـــد
فـــإذا أراد.. فكـــلَّ مـــا فـــي هـــذه الـــدنيا يُريـــد
وإذا تمنَـــى الشَّـــيءَ جـــا ء كمـــا تمنَـــى.. أو يزيـــد
والنـــاس خلـــف ركابِـــه يمشـــون فـــي حضـــرٍ وبِيـــد
يعنـــو لـــه ربُّ القنـــا وتهـــيم ربَّـــات القـــدود
قلـتُ: الغنـى فـي الـنّفس وهـو لعمـــرك العـــيش الرَّغيـــد
كـــم عائـــل راضٍ, وكـــم مُثـــرٍ علـــى بـــؤسٍ قعيـــد
فيقـــيم فـــي هـــم الطريـــ ـــف وفـي الحفـاظ علـى التليـد
ويـــذوب فـــي أطماعـــه هـــي نـــاره وهـــو الوقـــود
فهـــو الشّـــقي بوهمـــه وبحرصـــه العـــاني الكـــدود
وهـــو الفقيـــرُ وإن بـــدا فـــي مـــال قـــارونَ العديـــد
يعـــدو هنـــا وهنـــاك فـــي شُـــغَل كطـــوَّافِ البريـــد
يبغـــي المئـــات, فـــإن وَفَـــتْ يبـــغِ الألـــوفَ مـــن النقـــود
جشـــعٌ بـــه كجهـــنمٍ يشـــكو: ألا هـــل مـــن مزيـــد؟
أمَّـــا الألَـــى حـــول الرّكـــا بِ فهـــم لشـــهوتهم عبيـــد
تَخِـــذوه صـــيدًا والغَبـــيْ يُ يظـــن أنَهـــم المصـــيد

ويـــــــلٌ لـــــــه ويـــــــلٌ إذا عثـــرت بـــه قـــدمُ الجـــدود

ســـــتراه كـــــالقبر الكئيـــــ ـــب وكـــان كالصـــرح المشـــيد

قـــد عافـــه الخِـــلَّ الـــودو دُ كأنّـــــــه نـــــــتنٌ ودود

أمســـى نـــذيرَ الشّـــؤم وهـــ ـــو الأمـــسِ كـــان بشـــيرَ عيـــد

أمســـــى ينقـــــر كالعويـــــ ـــل وكـــان يطـــرب كالنشـــيد

أفبعـــــــد ذاك تظـــــــن أنّ نَ أخـــا الثـــراء هـــو الســـعيد؟

* * *

النفوذ

قـــالوا: الســـعادة فـــي النّفـــو ذِ وســـلطة الجـــاه العتيـــد
مـــن كـــالأمير وكـــالوزير وكالمـــــدير وكالعميـــــد؟
يرنـــو إلـــى مَـــن دونـــه فيُســـابقون لمـــا يريـــد
وإذا رأى رأيًـــــا فـــــذ لـــك وحـــده الـــرأي الرشـــيد
كـــل يســـارع فـــي هـــوا ه وعـــن رضـــاه لا يحيـــد
قلـــت: اطرحـــوا هـــذي المظـــا هـــر, واســـمعوا بيـــت القصـــيد
فـــأخو النفـــوذ بجاهـــه يشـــقى وإن ســـحب البـــرود
مـــا عـــاش يحـــرص أن يـــدو م لـــه النفـــوذ ويســـتزيد
متملِّقًـــا مَـــن فوقـــه طمـــع المثوبـــة والمزيـــد
ومخافـــة أن يســـقط الـــ ـــكرسي يومًـــا أو يميـــد
مترضّـــيًا مَـــن دونـــه بعطائـــه أو بـــالوعود
يبغـــي رضـــا كـــل الـــورى ورضـــاهمو شـــيءٌ بعيـــد
فتـــراه يبســـم للبغـــيض كأنّـــه الحِـــبُّ الـــودود
وتـــراه يمتـــدحُ الغبـــيَّ كأنّـــه الفَطـــنُ الرشـــيد
فاعجـــب لأزيـــاء الملـــو كِ وتحتهـــا نفـــس العبيـــد
لا يخـــدعنك ثلـــة حـــاطوا بـــه مثـــل الجنـــود
أبصـــرهمو –إن شـــئتَ- حـــين يجـــيء بـــالعزل البريـــد!
تجـــد النفـــوذ هـــوى كمـــا تهـــوى وتنفـــرط العقـــود!
ذهـــب البطانـــة واختفـــى الـــزّ زَوَّار، وانفـــض الحشـــود!

قــد كــان ســوق منَــى وكــا نــوا هــم كتُجَّــار اليهــود!
وافَــــوه يــــوم نَفَاقــــه وجفَــــوه أيــــامَ الركــــود!
وإذا رأوه دعــــــــــوا: ألا بُعــدًا, كمــا بعــدت ثمــود!
أفبعــــــد ذاك تظــــــن أنّ نَ أخــا النفــوذ هــو السَّــعيد؟!

* * *

الغرام

قـــالوا: الســـعادة فـــي الغـــرا م الحلـــو.. فـــي خصـــر وجيـــد
فـــي نـــرجس العـــين الضـــحو ك وفـــي الـــورود علـــى الخـــدود
فـــي ليلـــة قمـــراء لـــيس بهـــا ســـوى الشـــهب الشـــهود
فيهـــا التنـــاجي يُســـتطا بُ كأنّـــه وتـــر وعـــود
قلـــت: الغـــرام خرافـــة كبـــرى وأحـــلام شـــرود
هـــو فكـــرة بلهـــاء أو نزغـــات شـــيطان مريـــد
هـــو شـــغل قلـــب فـــارغ فقـــد التطلـــع للصـــعود
وهـــو الضّـــنى وهـــو الـــدمو ع، وشـــقوة القلـــب العميـــد
مـــا أضـــيع الأعمـــار تُقْـــ ـضَى فـي الهُيام، وفـي السـهود
فـــي حـــب غانيـــةٍ لعـــو بٍ فـــي أمـــاني، فـــي وعـــود
الحـــب حـــب الأم, والـــ أب، والحليلـــة, والوليـــد
حـــب المعـــاني والحقائـــ ـق لا القـــدود, ولا النّهـــود
حـــب يـــدوم مـــع الزمـــا نِ، فـــلا خـــداع ولا كنـــود
فـــدع التـــي تهـــواك حيـــ ـث تـــراك كـــالزهر النضـــيد
فـــإذا تغيَّـــر دهـــرك الـــدْ دَوَّار غيَّرهـــا الصـــدود
وإذا رأت مـــع غيـــرك الـــدْ دُنيـــا مشـــت تحـــت البنـــود
أفبعـــد ذاك تظـــن عبْـــ ـدَ الغانيـــات هـــو الســـعيد؟!

* * *

السكون والخمول

قـالوا: السـعادة فـي السـكون وفـي الخمـول وفـي الخمـود
فـي العـيش بـين الأهـل لا عـيش المهـاجر والطريـد
فـي لقمـة.. تـأتي إليـك بغيـر مـا جهـد جهيـد
فـي المشـي خلـف الركـب فـي دعـة وفـي خطـو وئيـد
فـي أن تقـول كمـا يقـا ل فـلا اعتـراض ولا ردود
فـي أن تسـير مـع القطيـ ـع وأن تُقـاد ولا تقـود
فـي أن تصـيح لكـل والٍ: عـاش عهـدكم المجيـد
فـي أن تعـيشَ كمـا يُـرا دُ ولا تعـيش كمـا تريـد!!
قلـت: الحيـاةَ هـي التّحـر ك، لا السـكونُ ولا الهمـود
وهـي التّفاعـل والتّطـو رُ، لا التّحجُّـر والجمـود
وهـي الجهـادُ، وهـل يُجـا هِـد مَـن تعلّـق بـالقعود؟
وهـي الشـعور بالانتصـا رِ ولا انتصـار بـلا جهـود
وهـي التّلـذذ بالمتـا عِـب لا التّلـذذ بـالرُّقود
هـي أن تـذودَ عـن الحِيَـا ضِ، وأي حـرٍّ لا يـذود؟
هـي أن تحـسَّ بـأنّ كـأ سَ الـذل مـن مـاءٍ صـديد
هـي أن تعـيشَ خليفـة فـي الأرض شـأنُك أن تسـود
هـي أن تخـط مصـير نفـ ـسِك فـي التّهـام وفـي النَجـود
وتقـول: لا, وبمـلء فيـ ـكَ لكـل جبَّـارٍ عنيـد
هـذي الحيـاة وشـأنها مـن عهـد آدم والجـدود

فـــإذا ركنـــتَ إلـــى الســـكون، فلَـــــذ بســـــكان اللحـــــود

أفبعـــــــد ذاك تظـــــــن أن... أخـــا الخمـــول هـــو الســـعيد؟!

* * *

الإيمان

قــل للــذي يبغــي الســعادة هــل علمــت مــن الســعيد؟
إن الســـــعادة: أن تعـــيش لفكـــرة الحـــق التليـــد
لعقيـــدة كبـــرى تحـــل قضـــية الكـــون العتيـــد
وتجيــب عمــا يســأل الحيــر ان فـــي وعـــي رشـــيد
مــن أيــن جئــت؟ وأيــن أذهــب؟ لــم خلقــت؟ وهــل أعــود؟
فتشــيع فــي الــنفس اليقــين وتطـــرد الشـــك العنيـــد
وتعلـــم الفكـــر الســـوي وتصـــنع الخلـــق الحميـــد
وتـــرد للـــنهج المســـد د كـــل ذي عقـــل شـــرود
تعطـــي حياتـــك قيمـــة رب الحيـــاة بهـــا يشـــيد
ليظـــل طرفـــك رانيًـــا فـــي الأفـــق للهـــدف البعيـــد
فتعــيش فــي الــدنيا لأخــرى لا تـــــزول ولا تبيـــــد
وتمـــد أرضـــك بالسَّـــماء وبالملائكـــة الشـــهود
وتَريـــك وجـــه الله فـــي مـــرآة نفسِـــك والوجـــود

* * *

قلب

هـــذي العقيـــدة للسَّـــعيد هـــي الأســـاس، هـــي العمـــود
مَـــن عـــاش يحملهـــا ويهتـــف باســـمها فهـــو الســـعيد
هـــو مـــؤمنٌ راســـي اليقـــين كأنّـــه الجبـــل الوطيـــد
غـــالٍ، فـــلا يرضـــى مبيـــع الـــنفس بـــالثمن الزهيـــد
الله منـــه قـــد اشـــتراها وهـــو أوفـــى بـــالعُقود
عـــرف الإلـــه، فلـــم يعُـــد فـــي الشـــك يُبـــدئ أو يعيـــد
عـــرف المـــراد مـــن الحيـــاة فلـــم يعـــش عـــيش الشَّـــريد
وتفـــاعُلًا: هـــو والحيـــاة يُفيـــدها ولـــه تفيـــد
المـــال والجـــاه الحـــلا ل يـــراه أدنـــى مـــا يُريـــد
فـــإذا اســـتفاد المـــالَ فهـــو لخيـــر أمتـــه رصـــيد
والجـــاه عُدّتـــه لنفـــع النـــاس مـــن بـــيضٍ وســـود
فيعـــيش مـــن معروفـــه فـــي مثـــل ســـلطان الرشـــيد
ملكًـــا تحـــيط بـــه القلـــوب ولا تحـــيط بـــه الجنـــود
ويعـــيش مـــن إيمانـــه فـــي عـــالم نـــائي الحـــدود
فـــي عَـــرْض مـــا اتّســـع الوجـــودُ وطـــولِ مـــا امتـــدّ الخلـــود
ويعـــيش مـــن أخلاقِـــه فـــي عـــالم الخيـــر المديـــد
حلـــوَ الشّـــمائل فـــي حيـــاء الزهـــرِ, فـــي طَهْـــرِ الوليـــد
فـــي رقـــةِ المـــاء النَميـــر وبهجـــةِ الفجـــرِ الجديـــد
يحيـــا بقلـــبٍ مـــن حريـــرٍ لا بقلـــبٍ مـــن حديـــد

يحنـــو علـــى العـــاني كمـــا يحنـــو النَسـيم علـــى الـــورود
ويـــــذوب للشّـــــاكي كمـــــا قـــد ذاب فـــي الشّـــمس الجليـــد
هـو فـي الرَّخـاء وفـي الشّـدائد للجميـــــــــــــــع أخ ودود
لا الفقـــــــر يذهلـــــــه, ولا الإثـــــراء يُنســـــيه العهـــــود
كـــالنجم يبـــدو فـــي النَحـــوس بـــــدوه عنـــــد الســـــعود
الحـــــب مِـــــلء فـــــؤادِه والحـــــب كنـــــز لا يبيـــــد
حـــبٌّ كضـــوء الشـــمس يُشـــر ق للمُسَـــــوَّد والمســـــود
حـــــب الســـــعادة للبريـــــة مـــــن قريـــــب أو بعيـــــد
لا شـــــــامت بـــــــالمبتلين ولا لـــــذي النَعمـــــى حســـــود
لا حامـــــل حقـــــدًا, فمـــــا أشـــقى الحيـــاة مـــع الحقـــود
يُســـدي الجميـــل لكـــل حـــيٍّ مـــــن شـــــكورٍ أو جحـــــود
وإذا صـــــنعتَ بـــــه الجميـــــل فلـــيس بالرجـــل الكنـــود[31]

* * *

(31) الكنود: الذي ينسى الجميل والنعم.

قوة

هـــذا الرَّقيـــق تـــراه عنـــد الـــروع فـــي قلـــب الأســـود
مُتبســـمًا والـــدهر غضـــبا ن يزمجـــــر بالوعيـــــد
فـــإذا رمـــاه بـــالخطوب رمـــاه بـــالعزم الجليـــد
وإذا دعتـــه الواجبـــات.. فحمَّلتـــه بمـــا يئـــود
وجدتـــه صـــلب المنكبـــين فـــلا يخـــر ولا يميـــد
هـــو كالشـــعاع المســـتقيم فـــلا يضـــل ولا يحيـــد
هـــو ناصـــع, لا يختفـــي خلـــف السَّـــتائر والســـدود
فيـــه ثبـــات أخـــي العقيـــد ة لا اضـــطرابَ أولـــي الجحـــود
للنـــاس أربـــاب ولكـــن ربـــــه رب وحيـــــد
لا ينحنـــــي إلا لـــــه عنـــد الركـــوع أو الســـجود
صـــلد الرجولـــة، لا يُـــرا ئـــي، لا يُمـــالئ، لا يكيـــد
لا ينثنـــي عنـــد الوعـــو د، ولا يلـــين لـــدي الوعيـــد
لا يلتـــــوي كـــــالأفعوا ن، ولا يُطـــأطئ كالعبيـــد
وإذا أريـــد علـــى الدنيـــة قـــال: إنـــي لا أريـــد
هـــو مطـــئن لا يبيـــت مـــن المخـــاوف فـــي ســـهود
وهـــو العزيـــز وإن يكـــن بـــين السلاســـل والقيـــود
وهـــو الغنـــي وإن يبـــت صـــفر اليـــدين مـــن النَقـــود
أيـــدين للفقـــر امـــرؤ أخلاقـــه نعـــم الرصـــيد؟
أفيشـــتكي عقـــم الزمـــا ن وقلبـــه خصـــب ولـــود؟

آمالـــــه تنمـــــو علـــــى الأحـــداث كـــالروض المجـــود
ويمـــــدها إيمانـــــه الـــــد فـــاق كالـــدم فـــي الوريـــد
تجلـــو لـــه الغـــد كـــالعرو س بـــدت تهـــادى بـــين غيـــد
وتســـيغ – فـــي فمـــه الجهـــاد كمنهـــل عـــذب الـــورود
فيقـــوم مـــن ســـاح اللِقـــا ء إلـــى لقـــاء مـــن جديـــد
ويـــذوق فـــي كـــأس العـــذاب.. عذوبـــة الصـــبر الحميـــد
ويشـــيم فـــي وجـــه الـــبلا ء مخايـــل النَصـــر الأكيـــد
والنصـــر مثـــل الغيـــث يُعـــرف بالصـــــواعق والرعـــــود
هـــذا لعمـــري شـــأن ذي الإيمـــا ن أو شـــــأن الســـــعيد
لاحـــــزن لانـــــدم علـــــى أمـــــس, فـــأمس لايعـــود
لا خـــوف مـــن غـــده, فخـــو ف غـــد ظنـــون لا تفيـــد
لا حـــرص لا طمـــع، فـــدا ء الحـــرص كـــم يفـــري الكبـــود
فلـــئن يعـــش لهـــو السَّـــعيد وإن يمـــت فهـــو الشَّـــهيد
قـــل للـــذي نشـــد السَّـــعا دة: دونـــك النبـــع الفريـــد
إن الســـعادة منـــك, لا تأتيـــك مـــــن خلـــــف الحـــــدود
هـــي بنـــتُ قلبـــك, بنـــتُ عقـــ ـــلك لـــيس تُشـــرى بـــالنقود
فاســـعد بـــذاتِك, أو فـــدع أمـــــر الســـــعادة للســـــعيد

* * *

القصيدة الثامنة

ثورة لاجئ

هذه القصيدة من الشعر القصصي.. نظمها الشاعر عام 1962م في المعتقل بسجن المخابرات في القاهرة..

وقالها في حفلة أقيمت بالدوحة من أجل فلسطين عام 1962م. وتناقلتها مجموعة من الصحف والمجلات.. منها مجلة «الأفق الجديد» التي كانت تصدر في الأردن. ونشرتها مجلة «الشهاب» اللبنانية عام 1387هـ، 1967م..

وفي هذه القصيدة ظهرت البراعة في أسلوب الشاعر وحواره القصصي، وهو يخرج بالغلام من اليأس إلى الأمل ثم العمل.

وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وستين بيتًا.

* * *

ثورة لاجئ[32]

لقيتُه غلامًا لم يبلغ الحلم، قد فرَّ من خِيام اللاجئين باكيًا حزينًا حانقًا.. فكان بيني وبينه حوارٌ سجَّلته هذه القصيدة..

رأيتــه مطرقــا يبكــي فأبكــاني وهاج من قلبي المكلوم أشجاني

في زهرة العمـر إلا أن دهرك لا يرعى الشيوخ ولا يرثى لصبيان

في نضرة الغصن، إلا أن عاصفة هبت سمومًا فأمسى غير فينـان

تعلوه مسحة عز سالف غشيت من طول ما ذرفت للدمع عينـان

بكى فكادت له نفسي تذوب أسًى كــأن راميــه بالســهم أصــماني

دنــوتُ منــه أحاكيــه وأســأله علي أواسي جراح المثقل العاني

سألت: ما اسمك؟ قال: اسمي يدل على معنى غريب على مثلي: أنا هاني

قبلتــه بــين عينيــه وقلــتُ لــه: هـون عليـك وإنـي خيـر معـوان

يا ناعم الظفر يا بن العز، ما لك تكـف عـن مـدمع كالغيـث هتـان

لماذا دهاك؟ احك لي، علَّ الحديث مجفف عنك بعض المدمع القاني

حكــى الغــلام كــأنّ الله يلهمــه إلهـام يحيـى صـبيًا أو سـليمان

إن شئتَ يا عم فاسمع قصة عجبًا وإن تكن عُرِفَتْ للقاصِ والداني

يــا عـم، إنــي غصـن لا حيـاةَ لـه قطعت بالغدر عن أصلي وسيقاني

فقدتُ روحي أمـي، والحبيب أبـي فقـدت أهلـي وأرحـامي وجيرانـي

واللاعبــون معــي فــي شــارعي مـوتى استراحوا، ومـوتى شـأنهم ذهاب

لقـد تفـرَّق أهـل الحـي فـي بلـد إلــى الكهــوف بأقطــار وبلــدان

---

(32) «الشهاب» اللبنانية (ص8) -العدد الرابع عشر- سنة 1387هـ -1967م.

فقدتهم، ففقدتُ العيش بعدهمو كيف الحياةَ بلا أهل وخِلّان؟!
كيف الحياة لعصفور ببادية ولا أليف، وقد هيض الجناحان؟!
فقدتُ كل عزيز لي، فلا وطن ولا حبيب، ولا داري وبستاني
دار الجدود التي فيها صباي ربا وطالما وسعت لعبي وإخواني
لقد شهدت أبي والموت يصرعه ولم يجد مُسعفًا من قلب إنسان
نادى: بني اسقني فالصدر ملتهبٌ فقلتُ: نفسي الفدا للوالد الحاني!
ناولتُه الماء أسقيه. فقبَّلني وأسلم الروحَ في طُهرٍ وإيمان!
يا عم مات أبي في خير معركةٍ وما بكيت عليه مثل أوطاني
قد مات يدفع عن أرضٍ وعن لصوص أرضٍ وأعراضٍ وأديان
ما مات، بل هو عند الله ألمحه شفي في الخلدِ يسرح طيرًا بين أفنان
يا عم ذي هي مأساتي التي عودي كما عصفت مثلي بعيدان
مأساة شعبٍ غدًا يحيا بلاوطنٍ قصفت واللص يمرح فيه غير خَزْيان
أراد أهلُ العمى أن يقسموا امرأةَ ما بين زوج وعادٍ غاصبٍ ثان!
فهل تُسَوِّغ هذا شرعة عُرفت؟ أم هل يُصدِّق هذا عقلُ إنسان؟
مسحت دمع الفتى الباكي وقلتُ له: سمعت منك، فخذ فكري ووجدان
بني جرحك في قلبي يسيل دمًا فارحم صباك، فما أشجاك
جرح العروبة والإسلام في بلد أشجاني الإسراء لم يختلف في شأنه اثنان
فلا تظننك غصنًا لا أصولَ له فقد شددت إلى أصلٍ وأغصان
لا تأس أن عشتَ بعد الأهل فكلنا لك ذاك الوالدُ الحاني
وكل أزواجنا أمٌّ بها شغفٌ مُنفردًا لتفتديك بروح قبل جثمان
ودارنا لك دارٌ لو رضيتَ بنا أهلًا بأهل، وإخوانًا بإخوان

فإن تعش أنتَ والأهلون قد رحلوا ففيك سرّ بقاء الشعب يا هاني
قد عشتَ حقًا لأمر لا خفاءَ به وحكمة الله تخفى بعض أحيان
قد عشتَ للنصر بالإصرار تغرسُه فتجتنيه ثمارًا ذات ألوان
فاخلع ثيابَ الأسى واليأس مُرتديًا ثوبَ الجهاد نشيطًا غير كسلان
تعلم الحربَ في سرٍّ وفي علن فوق الجبال وفي سهلٍ ووديان
واجمع رفاقك وانفخ في عزائمِهم مما بصدرك من عزم وإيقان
وقل لصهيون: لسنا أمة همجًا تمضي سفينتها من غير ربَّان!
وقل لمن حسبونا قطعة نظمت من غير قافيةٍ من غير أوزان
معاذ ربي أن تنحل عروتُنا أو أن نتيه وفينا نورُ قرآن
تهلل النّاشئ الباكي وقال: أجل يا عم إني في أهلي وأوطاني
يا عم أحييت من عزمي ومن هبني يمينًا أقبلها بشكران
اليأس كفر إذا ما حل صدر فتًى ثقة والحمد لله قد جددت إيماني
جعلتَ مني إنسانًا له هدف وكنتُ من قبل أحيا بعض إنسان
إني أحس لماذا عشتُ بعد أبي ولم أمت مع أهلي مثل أقراني
إني حييتُ ليوم لا مردّ له للثأر، للدم، لاستردادِ أوطاني
لأستعيد فلسطينًا كما غَصبت بالدم لا بدموع أو بتحنان
لأزرع الأرضَ ألغامًا أفجرها نارًا على مَن بها بالأمس أصلاني
لأحمل المدفع الجبَّار أطلقه في صدر مَن قتلوا أهلي وإخواني
لأنزع الدارَ والأرضَ التي نهبوا من كل لصٍّ ونهَّابٍ وخوَّان
لأرجع القبلة الأولى مُطهرةً من كل قردٍ وخنزير وشيطان
لأسترد ثَغور الأمس ضاحكة حيفا ويافا وعكّا روح بلداني

لكـي تعـود تُـدوي فـي مآذِنهـا «الله أكبـر» مـن آنٍ إلـى آن

أمـي فلسطين لا تأسَيْ ولا تهنـى إنـا سـنفديك مـن شـيبٍ وشُـبان

سنرخص الموتَ بالأرواح نبذلها سـنعمل السـيفَ فـي سرٍّ وإعـلان

إذا انتصـرنا ففـي عـزٍّ ومكرمـةٍ وإن قتلنـا ففـي جنـات رضـوان!

* * *

القصيدة التاسعة

ابتهال

هذه القصيدة قالها الشاعر في التوبة والابتهال.. نظمها في صيف عام 1962م في القاهرة، حين اعتقل لمدة خمسين يومًا في مبنى المخابرات بالقُبة.. وتنشر لأول مرة في هذا الديوان..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وأربعين بيتًا.

* * *

ابتهال

يـا مَـن لـه تعنـو الوجوه وتخشـع ولأمــره كــل الخلائــقِ تخضــع
أعنــو إليــك بجبهــةٍ لــم أحنهــا إلا لوجِهــك ســاجدًا أتضــرع
وإليــك أبسـط كـفَّ ذلٍّ لـم تكـن يومًـا لغيـر سـؤال فضـلك ترفـع
أنـا ـمَن علمتَ- المذنب العاصي عظمـت خطايـاه، فجـاءك يهـرع
كـم سـاعةٍ فرطـتُ فيهـا مُسـرفًا وأضــعتُها فــي زائــل لا ينفــع
كــم بــتَّ ليلــي كلــه متثــاقلًا وذوو التقــى حــولي قيــام ركــع
كم بـال فـي أذنـي شيطان الكرى فإذا الصباح على نئوم يطلع(33)
كم زينت لـي النفس سوء فعالها فأطعتهـا ضـعفًا، وبـئس الطيـع
كم وسوس الخنـاس فـي صدري، يجـد الـذي يعلـو قفـاه، ويصـفع
كـم أقـرأ الآيـات لـو نزلـت علـى شــم الجبــال رأيتهــا تتصــدع
مــا لــي أردد وعـدها ووعيـدها مـا رقَّ قلبـي أو جـرى لـي مـدمع
كـم مـن نفـوسٍ بالهـدى ذكرتهـا فمضــت كمــا يمضــي الجــوادُ المسـرع
أيقظتَهــا للخيــر حــين تركتنــي فــي غفلــة الــدنيا أتيــه وأرتــع
يـا حسرتًا!! أعظ الأنـامَ، فليتنـي نفسي وعظتُ، فوعظ نفسي أنفع
يــا ربِّ حكمتُــك اقتضــتني مُــذنبًا لأجــيء بابــك أســتجير وأضــرع
فتــرى عُبيــدك تائبًــا مُســتغفرًا وأراك غفّــارًا لــذنب يفظــع
أنـا إن عصيتُ فذاك مـن نقصـي، غيــر الإلــه لــه الكمــال الأرفــع؟
وبمَـــن

---

(33) هذا البيت إشارة إلى ما رواه البخاري ومسلم: عن ابن مسعود قال: ذكر عند النبي صصص رجل نام حتى أصبح.. فقال: <ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه>.

يـا ربِّ أنـتَ خلقتنـي مـن طينـةٍ ومَـن الـذي لأصـوله لا ينـزع؟!
لــولا هــداكَ ونفخــة علويَّــة أودعتهـا روحـي لكـان المصـرع
فيهـا أصـول علـى التـراب ترفعًـا وبهـا أحلِّـق حـين تصـفو الأضـلع
الطــين يجــذبني إليــه بشــدةٍ والـروح تصـعدني إليـك وترفـع
فـإذا ارتقيـتُ إلـى رضـاك فغـايتي وإذا هبطــتُ فــدائمًا أتطلــع
هـو الابـتلاء، عليـه قـام وجودنـا وبــه نَهيَّــأ للخلــود ونَصْــنَع
النــار بالشــهوات حفَــت فتنــة فليمــرح الفجَّــار وليتمتعــوا
أمــا الجنــان فإنَهــا محفوفــة بمكــارهٍ تُــدمي الفــؤادَ وتُوجــع
الــزّاد قــلَّ والــديار بعيــدةَ والظهـر نِضْـوٌ، والرّفيـقُ مُضَـيَّع
وهنــاك قطــاع الطريــق طوائفًــا شـتّى، تُضـل عـن المـراد وتقطـع
إبلـيس يغـوي والهـوى شـركٌ لـه والعيش يُغري، والأمـاني تخـدع
وهنــاك قطَــاع عتــاةَ أعلنــوا حربًـا تُخيـف السَّـائرين وتُفـزع
جرءوا عليك وأنتَ تحلَم عنهمو! ولكـل شـيءٍ عنـد ربـي مرجـع
هـذي الطريـق, وإنَهـا لمخوفـة رب اهدني وأَعِن عسى لا أقطع!
يـا ربِّ عبـدك عنـد بابـك واقـفٌ يـدعوك دعـوة مَـن يخـاف ويطمـع
فإذاخشـيتُ فقـد عصـيتُك جـاهلًا وإذا رجـوتُ فـإنّ عفـوك أوسـع
يـا ربِّ إن أك فـي الحقـوق مُفرِّطًـا فلأنـت أبصـر بـالقلوب وأسـمع
بـين الجـوانح خـافق يهـوى التقـى ويضـيق كرهًـا بالـذنوب ويجـزع
ويحـب ذكـرك, والقلـوب إذا خلـت مـن ذكـر ربـي فهـي بـور بلقـع
ولكــم ذكرتُــك خاليًــا فوجــدتني والقلـب فـي وَجَـلٍ, وعينـي تـدمع
هـل لـي رجـاء أننـي ممـن دعـوا يومًــا إليــك وقــال: تُوبــوا وارجعــوا؟!

وحملتُ مصباحَ الهداية مُرشدًا أهناك كالقرآن نورٌ يسطع؟!

ومشيتُ في ركب الهُداة, وإن أكن أبطأتُ في طلب الكمال وأسرعوا!

حسبي أحبهم وأقفوا خطوهم ولكم أرى حب الأكابر يشفع

يا ربِّ ما لي غير بابك مفزَعٌ آوي إليه إذا يعز المفزع

ما لي سوى دمعي إليك وسيلة وضراعتي, ولمن سواك سأضرع؟!

إن لم أقف بالبابِ راجي رحمة فلأيِّ بابٍ غير بابك أقرع؟!

إن لم يكن مني الذنوب, ومنك أن تعفو, فأين اسم العفو المطمع؟!

أين الغفور؟ وأين رحمتُه التي وسعت جميعَ الخلق؟ أين الموسع؟!

هذا أوان العفو، فاعف تفضّلًا يا مَن له تعنو الوجوه وتخشع!

* * *

القصيدة العاشرة

مناجاة

نظم الشاعر هذه القصيدة في الدوحة في 14 شعبان 1405هـ الموافق 4 مايو 1985م.. نظمها بعد جولة إسلامية طويلة في ماليزيا وباكستان ومخيمات اللاجئين الأفغان في بشاور..

وبينما كان في جولته الميمونة يواصل الليل مع النهار، ويتنقل من مكان إلى مكان، شعر بألم كبير في ظهره وإرهاق شديد.. وعاد إلى الدوحة وهو يعاني من شدة المرض الذي أقعده عن جامعه وجامعته ونشاطه الإسلامي المبارك..

وبعد أربعين يومًا على الفراش، حنَّت نفسه إلى الشعر بعد هجر طويل.. ونظم قصيدتين حلق فيهما أيّما تحليق.. كانت الأولى منهما مناجاة وتضرعًا ودعاء ينطق بالحكمة، ويحمل روح الداعية الذي يلجأ للمولى عز وجل في الضَّراء والسَّراء، وفي الشدة والرَّخاء..

وتبلغ أبيات هذه القصيدة خمسة وأربعين بيتًا.

* * *

مناجاة

بعد أربعين يومًا على الفراش، من مرض أوهن العظم، وأنقض الظهر، أقعدني عن جامعي وجامعتي، وحال بيني وبين أحبابي وطلابي –حنت النفس إلى الشعر بعد هجر طويل- فجاد الخاطر بهذه الأبيات أناجي بها ربي، وأذكر بها ذنبي:

يا ربِّ ها جسمي يشيخ ويمرض والوهن وافاني سريعًا يوفض
ولّت سنو عمري كرؤيا نائم ومضى شبابي مثل برق يومض
ودنا الرحيل ولم أهيئ زاده وخيام أيامي تكاد تُقوض
كل النّفائس قد تُعوَّض إن تضع والعمر –إن ضيعت- ليس يعوض
ما بعد نضج الزرع غير حصاده هي سنة لله ليست تنقض
وإذا أتى الأجل المقدر وقته لم يغن عنك مُطبِّبٌ وممرض
ما لي -وقد فرطتُ في أمري- رب إلى نفحاته أتعرَّض
مّا كان من عذرٍ لتقصيري سوى نفس تُقاد إلى الجنان فتعرض
كسلى عن الخيرات جد ثقيلة وهي الجواد إلى البطالة يركض
نامَت وأهل الجد قوّام، ولم تنفض غبار النوم فيما ينفض
لم تحد حذو الصَّادقين وظهرها من زحمة الأوزار أوشك ينقض
قعدتْ، ولم تبذل كما بذلوا، ولم تسمع دعاء الله: «مَن ذا يُقرِض؟»
أشهدتُها، ربي: ألستُ بربكم؟ قالتْ: بلى، فلما تحيد وتنقض؟
ودنوتَ منها بالعطاء تحبُّبًا يا ويحها، بالجهل، منك تبغض!
يا ربِّ، في الأولى سترتَ نقائصي فأتم سترك يوم عندك أعرض

ما لي سواك إذا الخَطوب تفاقمتْ أمـري إليـك علـى الـدّوام مُفـوَّض
لـو كـان لـي ربٌّ سـواكَ رجوتَـه! فلمَـن أمـد يـدي ومَـن أستقرض؟
ربَّـاه، إنّ رضـاك غايـة مَطلَبـي ما ضرَّني سَخِطَ البريَّـة أم رضوا
يـا جـابرَ العثَـرات، كُـنْ لـي جـابِرًا كم عاثرٍ إن ترضَ عنه سيَنْهَض!
وارفع مكاني –ربِّ- عندك بالتّقَى مَـن ترفـع اللّهُمَّ مَـن ذا يخفِض؟!
وابسُـط علـيَّ عطـاءَ ربِّ باسـطٍ بَـرٍّ، فـإن تبسط فمَـن ذا يقـبض؟!
أنـا عائـدٌ لحمـاك، فـاقبلني علـى مـــا بـــي، وإن تَقبَـــل فمَـــن ذا يُفْض؟!
آتيتنـــي القـــرآنَ، فـــانفعني بـــه وأقـم بـه لـي حُجَّـة لا تـدْحَض
بـيِّض بـه وجهـي بيـومٍ قـادمٍ فيـه الوجـوه مسـوَّدٌ ومُبـيَّض
يا خير مَن أعطى، وأكرم مَن عفا وإذا دعـــاه مُفَـــرِّطٌ لا يُعْـــرِض
ربِّ اسمُك الغفّـار، فـاعفُ تكرُّمًـا يـدعُوك مكسـورُ الجنـاح مُهَـيَّضُ
عبـدٌ بضـاعتُه الكـلام، جهـادُه صحفٌ تُسَطَر، أو قَرِيضٌ يُقَرَض
يدعو الوَرَى للصَّالحات، وسِفْرُه فـي صـالح الأعمـال خِلْـوٌ أبـيضُ
ويحبُّ دَرْبَ الصَّالحين، وإن أكُنْ قصَّـرتُ فيمـا طوَّلَـوه وعَرَّضـوا
لكِـــنْ لـــه قلـــبٌ يُحِبُّـــك كلَّـــه وقلـوبُ أهـل الحُـبِّ لا تتـبعَّض
سِـلْمٌ لمـن والاك، حـربٌ للألَـى عـادَوْكَ، فهو يُحِبُّ فيك ويُبْغِض
يأسَـى لِهَـمِّ المسـلمين، وهمُّهـم شُـمُّ الجبـالِ بحملـه لا تـنهض
فعسـايَ يشـفع لـي إلهـيَ أنّنـي أبـدًا لحِزْبِـك ناصـرٌ ومُحَـرِّض
أنـتَ الـذي أكرمتَنِـي منـذ الصِّبا ورعَيْتَنِـي، والخيـرُ منـك مُفَيَّض
وغرستني في الدِّين منذ حداثَتي ووهبتنـي فضـلًا يطـول ويعـرض
ورزقتنـــي حُـــبَّ الأنـــام تفضّـــلًا إنّ المحبَّـــة بالعصـــا لا تُفْـــرَض

وغمرتني بالفضل من قَرني إلى قَدَمي، يراه محدِّقٌ أو مُغْمِض

فأتم بالغَفران فضلَك... والرِّضا مَن ذاق حلوك لم يَطِق ما يَحْمُض

واحشُرْنِ في رَكْبِ الحبيبِ ومع الّذين لوجهِ دينِكَ بيَّضوا

واجعل من العِلم الذي علمتَني المصطفى نورًا يُضيء، وروحَ بعثٍ يُنْهِض

وارزقنيَ الإخلاصَ حتّى لا أرَى إلّا وكُلِّي في رضاك مُمَحَّض

وأتم بالتّوفيق ما أرجو، فلا يُغْتَال، أو أعيا به، أو يُجْهَض

وامنَنْ عليَّ بنفحةٍ علويَّةٍ أشْفَى بها من كلِّ داءٍ يُمْرِض

لأظَلَّ لاسمِكَ ذاكرًا ومُسبِّحًا كي أرْتَضَى فيمَن لديك قد ارتُضُوا

وأعيشَ يا ربي لدينِك ناصرًا ما دام بي نَفَسٌ، وعِرْقٌ ينبض

* * *

القصيدة الحادية عشرة

يا أمتي وجب الكفاح

نظم الشاعر هذه القصيدة في الدوحة في 16 شعبان 1405هـ الموافق 6 مايو 1985م.. وهي القصيدة الثانية التي نظمها على الفراش.. وانطلق من آلام الظهر والعمود الفقري التي يعاني منها، إلى آلام أمته.. فكانت نفثات شعرية ضمَّنها نجاوي فكره وذوب نفسه المحترقة لهموم الإسلام والمسلمين.. وكانت دعوة إلى العمل والكفاح، والصبر والثَّبات، الذي يقود إلى الفلاح..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وتسعين بيتًا.

* * *

يا أمتي وجب الكفاح

«حرَّكت الأحداث خواطري، وأنا على فراش المرض، أسمع وأقرأ وأرى ما يجري على الساحة في ديارنا: صليبيون ولا صلاح الدين، وتتار ولا قطز، ومرتدون ولا أبا بكر! فكان من هذه المشاعر والخواطر هذه القصيدة».

يا أمَّتي وجب الكفاحُ فدَعِي التّشدّقَ والصياحْ
ودعي التّقاعُس ليس يُنـ ـصَر مَن تقاعسَ واستراحْ
ودَعِي الرِّياءَ فقد تكلَّـ ـمت المذابحُ والجراح
كذب الدّعاة إلى السلا م، فلا سلامَ ولا سماحْ
ما عاد يجدينا البُكا ء على الطلول أو النّواح
لغة الكلام تعطّلت إلا التّكلم بالرماح
إنا نتوق لألسنٍ بُكْمٍ على أيدٍ فِصاح
يا قوم، إنّ الأمر جَدّ قد مضى زمنُ المزاح
سمُّوا الحقائقَ باسمها فالقوم أمرهمو صراح
سقط القناعُ عن الوجو ه، وفعلَهم بالسرِّ باح
عاد الصَّليبيون ثا نية، وجالوا في البِطاح
عاثوا فسادًا في الدِّيا ر كأنّها كلأ مباح
عادوا يُريقون الدِّما ء، ولا حياءَ من افتضاح
والباطنية مثّلوا الدور المقرر في نجاحْ
دور الخيانة وهو معلومُ الختام والافتتاح

مـــن كـــل «حشّـــاشٍ» أعـــاد روايـــة «الحســـن الصّـــباح»
عـادوا ومـا فـي الشّـرق «نـو ر الـدين» يحكـم أو «صـلاح»
كنـــا نســـينا مـــا مضـــى لكـــنّهم نكئـــوا الجـــراح
أرأيـــتَ لبنانَـــا ومـــا يجـري بـه فـي كـلِّ سـاح؟
أرأيـــتَ شـــاتيلا وصبـــ ـــرًا والبـــراجن والضـــواح؟
أرأيـــتَ مَـــن حملـــوا أنـــا جيـــل البِشـــارة والسَّـــماح؟
مـــا هـــم مـــن الإنجيـــل إلا مثـــلُ أبنـــاء السِّـــفاح!
لـم يخجلـوا مـن ذبـح شيـ ـخٍ, لـو مشـى فـي الـرِّيح طـاح
أو صـــبيةٍ كـــالزّهر لـــم ينبـت لهـم ريـشُ الجنـاح
ذبحـــوا الصَّـــبي وأمَّـــه وفتاتَهـــا ذات الوِشـــاح
لـــم يشـــفِ حقـــدَهمو دمٌ ســفحوه فـي صَـلَفٍ وقـاح
عبثـــوا بأجســـاد الضّـــحا يـــا فـــي انتشـــاءٍ وانشـــراح
وعـدَوا علـى الأعـراضِ لـم يخشـوا قصاصًـا أو جُنـاح
مـــا ثَـــمَّ «مُعْتَصِـــمٌ» يُغيـ ـث مَـن استغاث بـه وصـاح!
أرأيـــتَ كيـــف يُكـــاد للإســـ ـــلام فـــي وضـــحِ الصَّـــباح؟
أرأيـــتَ أقصـــانا، ومـــا هـــدَمَ العـــدوُّ ومـــا اســـتباح؟
أرأيـــتَ أرضَ الأنبيـــا ءِ, ومـــا تُعـــاني مـــن جِـــراح؟
أرأيـــتَ كيـــف بغـــى اليهـــو دُ, وكيـــف أحســـنَا الصِّـــياح؟
غصـــبوا فلســـطينَا وقـــا لـــوا: مـــا لنـــا عنهـــا بَـــراح
كشـــروا عـــن الأنيـــابِ لـــم يُخفـــوا وجـــوههم القِبـــاح
لـــم يعبـــأوا بقـــرار «أمـــ ـــنٍ» دانَهـــم أو بـــاقتراح

ولطالمـــا اجترحـــوا العظـــا ئـــمَ، لـــم يُبـــالوا بـــاجتراح
عـــاد التتـــار[34] يقـــودهم جنكيـــز ذو الوجـــه الوقـــاح
عـــادت جيوشُـــهمو تهـــدِّ دُ بـــالخرابِ والاجتيـــاح
يـــا ويـــل أرضٍ دنّســـو هـــا، إنّهـــم عُقَـــم الرِّيـــاح
عـــادوا ولا «قطـــز» يُنـــا دي المســـلمين إلـــى الكفـــاح
لـــولا صـــلابة فتيـــةٍ غـــرٍّ, بـــدينهمو شِـــحاح
فـــي أرض أفغـــان العريقـــ ـــةِ فـــي البطولـــةِ والصـــلاح
غنمـــوا الســـلاحَ مـــن العـــد وِّ، وقـــاتلوه بـــذا الســـلاح
بـــذلوا الـــدِّماء, ومـــا علـــى مَـــن يبـــذل الـــدم مـــن جنـــاح
بســـيوف «سـيَّاف» و«حكمـت يـــار» أبطـــال النّفـــاح
ورجـــال «برهـــان» و«يـــو نـــس» والمغـــاوير الصِّـــباح
قـــد بيَّضـــوا وجـــهَ الحنيـــ فـــة لـــيس ذلـــك بامتـــداح
عـــاد المـــروقُ مجـــاهرًا مـــا عـــاد يخشـــى الافتِضـــاح
نَفَقَـــتْ هنـــا ســـوق النِّفـــا قِ تـــروّج الـــزّورَ الصَّـــراح
فيهـــا يُبـــاع الفســـقُ تحـــ ـــت اســـم الفنـــونِ والانفتـــاح
وتـــرى الفســـادَ يصـــولُ جهـــ ـــرًا فـــي الغـــدوّ وفـــي الـــرَّواح
وتطـــــاولَ المرتـــــدّ لا يُخفِـــي مـــن الكُفـــر البَـــواح
مـــن كـــلِّ أكـــذبَ مـــن مُسيـــ ـــلمةٍ, وأفجـــر مـــن سِـــجاح
وجـــد الحصـــونَ بغيـــر حُـــرَّا سٍ, لهـــا فغـــدا وراح
ومضـــى يُعربِـــد, لا يُبـــا لـــي, فـــي حمانـــا المُســـتباح

(34) يعني الشاعر بالتتار هنا «الروس» وغزوهم لأفغانستان.

وتعالـــت الأصـــواتُ تـــد عـــو للفَجـــور وللسِّـــفاح
مســـعورةَ, إن رحـــتَ تزجـــرُ هـــا تمـــادت فـــي النبـــاح
مـــا مـــن «أبـــي بكـــر» يُـــؤدِّ بهـــم ويكـــبح مـــن جمـــاح
ويُعيـــدهم لحظيـــرة الإيـــ ـــمانِ قـــد خفضـــوا الجنـــاح

* * *

يـــا أمَّـــة الإســـلام هبَّـــ ـــوا واعملـــوا، فالوقـــت راح
الكفـــر جمَّـــع شـــملَه فلـــم النِّـــزاع والانتِطـــاح؟
فتجمَّعـــوا وتجهَّـــزوا بالمُســـتطاع وبالمُتـــاح
يـــا ألـــف مليـــونٍ, وأيـــ ـــن همـــو إذا دعـــت الجِـــراح؟!
هـــاتوا مـــن المليـــار ملـــ ـــيونًا, صـــحاحًا مـــن صِـــحاح
مـــن كـــلِّ ألـــفٍ واحـــدًا أغـــزو بهـــم فـــي كـــلِّ سَـــاح
مـــن كـــلِّ صـــافي الـــروحِ يُـــو شِـــك أن يطيـــرَ بـــلا جنـــاح
ممـــن يخـــفُّ إلـــى صـــلا ة الليـــل بـــاديَ الارتيـــاح
ممـــن يعـــفُّ عـــن الحـــرا م, ولـــيس يُســـرفُ فـــي المبـــاح
ممـــن زكـــا بالصَّـــالحا ت, وذكـــره كالمسْـــك فـــاح
ممـــن يهـــيم بجنَّـــةِ الـــ ـــفردوسِ لا الغِيـــد المـــلاح
مـــن همَّـــه نصـــح العبـــا د ولـــيس يـــأبى الانتِصـــاح
يرجـــو رضـــا مـــولاه لـــم يعبـــأ بمَـــن عنـــه أشـــاح
بكّـــاءُ محـــرابٍ، ولكـــ ـــن فـــي الـــوغى كـــبشُ النِّطـــاح
مُـــرٌّ علـــى أعدائِـــه ولقومِـــه مـــاءٌ قـــراح

فـــي الـــرَّوع يبـــذل روحَـــه ويقـــول عنـــد الغُـــنْم: صـــاح[35]
إن ضـــــاقتِ الـــــدّنيا بـــــه وسِـــعَتْه «ســـورةَ الانشـــراح»

* * *

لا بـــدَّ مـــن صـــنع الرِّجـــا ل، ومثلَـــه صـــنعُ الســـلاح
وصـــــناعة الأبطـــــالِ علـــــ ـــمٌ فـــي التّـــراث لـــه اتِّضـــاح
مَـــن لـــم يُلَقَّـــنْ أصـــلَه مـــن أهلـــه فقـــد النّجـــاح
لا يُصْـــــــنَع الأبطـــــــالُ إلا فـــــي مســـــاجدنا الفِسَـــــاح
فـــي روضـــةِ القـــرآن فـــي ظـــلِّ الأحاديـــث الصِّـــحاح
فـــي صُـــحبة الأبـــرار، ممـــن فـــــي رحـــــابِ الله ســـــاح
مَـــن يُرشِـــدون بحـــالهم قبـــل الأقاويـــلِ الفِصـــاح
مَن صمتُهم فكرٌ، وذكرٌ نَطقهم وفِعالَهم شكرٌ، ومجلسُهم رَباح
وغِراسُـــهم بـــالحقِّ مـــو صـــولٌ, فـــلا يمحـــوه مـــاح
مَـــن لـــم يعـــش لله عـــا شَ وقلبـــه ظمـــآنُ ضـــاح
يحيـــا ســـجين الطِـــين, لـــم يُطلـــقْ لـــه يومًـــا سَـــرَاح
ويـــدور حـــول هـــواه يلهـــثَ مـــــا اســـــتراحَ ولا أراح
لايســـتوي فـــي منطـــق الإ يمـــانِ ســـكرانٌ وصـــاح
مَـــن همُّـــه التّقـــوى وآ خـــر همُّـــه كـــأسٌ وراح
شـــعبٌ بغيـــر عقيـــدةٍ ورقُ تُذَرِّيـــه الريـــاح
مَـن خـان «حـيَّ علـى الصَّـلا ةِ» يخـون «حـيَّ علـى الكفـاح»

---

(35) أي: يدع المغانم لغيره، ويُنادي أصحابَه ليأخذوها.

* * *

يـــا أمَّتـــي, صـــبرًا، فليـــ ـــلك كـــاد يُســـفِر عـــن صـــباح
لا بـــــــدّ للكـــــــابوس أن ينـــــزاح عنـــــا أو يُـــــزاح
والليـــــلُ إن تشـــــتَدّ ظلـــــ ـــــمتُه نقـــــول: الفجـــــرُ لاح
والفجـــــر إن يبـــــزغ فـــــلا نـــــومٌ، وحـــــيَّ علـــــى الفـــــلاح

* * *

القصيدة الثانية عشرة

رسالة شوقٍ وحنين

منذ ربع قرنٍ من الزمان والدكتور القرضاوي يقضي شهر رمضان المبارك بالدوحة.. يخطب الجمعة، ويعظ المسلمين في درس العصر، ويُقدم البرامج الدينية الهادفة في الإذاعة والتلفاز. ويصلي بالناس التراويح، ويلقي درس التفسير، فيشعرون بمتعة التلاوة، وخشوع العبادة، وفقه الدرس..

وفي شهر شعبان من هذا العام سافر ظظظ إلى ألمانيا للعلاج، واضطر أن يقضي شهر رمضان المبارك في «بون» بعيدًا عن الدوحة..

وبدأ رمضان وشعر الناسُ بفراغ كبيرٍ، وافتقدوا شيخَهم الجليل –شفاه الله وعافاه- الذي أحبَّهم وأحبُّوه، وترقَّبوا عودته يومًا بيوم وساعةً بساعة..

وازداد شوقُ الشيخ إلى الدوحة.. إلى مساجدها العامرة وجمهورها المسلم.. فنظم هذه القصيدة في مدينة «بون» في 6 رمضان 1405هـ، وأرسلها إلى الدوحة؛ لتنوب عنه في لقاء الإخوان والأحباب، وقدَّمها بهذه الكلمات:

«أطلَّ رمضان شهر الذكر والقرآن، شهر الصيام والقيام وربيع الإيمان والإحسان، فحلَّقت الروح –حيث الجسد حبيس- شوقًا إلى الدوحة بمساجدها وأذانها وقرآنها وتراويحها وأحباب الروح فيها، فجاشت الخواطر بهذه القصيدة أهديها إلى الإخوان والأخوات في صلاة التَّراويح»..

وقامت جريدة «الراية» القطرية بنشر القصيدة بعددها رقم 1692 في 18

رمضان 1405هـ.

وتبلغ أبياتها سبعين بيتًا.

* * *

رسالة شوق وحنين

بين الجوانح في الأعماقِ سُكناه ... فكيف أنسى ومَن في الناس ينساه؟!
وكيف أنسى حبيبًا كنتُ من ... أسير حسنٍ له جلت مزاياه؟
ولَم أزل في هواه ما نقضتُ لهُ ... عهدًا ولا محت الأيامُ ذكراه
قد شاخ جسمي ولكن في محبته ... ما زال قلبي فتًى في عشق معناه
مَن يصدق الحب يبقى حبُّه أبدًا ... أئن يشخ قيس ليلى ينسَ ليلاه؟
في كل عام لنا لقيا محببة ... يهتز كل كياني حين ألقاه
بالعين والقلب بالآذان أرقبه ... وكيف لا وأنا بالروح أحياه؟
والليل تحلو به اللقيا وإن قصرت ... ساعاتها ما أحيلاها وأحلاه!
فنوره يجعل الليل البهيم ضحًى ... فما أجلَّ وما أجلى مُحياه
ألقاه شهرًا ولكن في نهايته ... يمضي كطيف خيالٍ قد لمحناه
هذا الحبيب الذي للخير أهّلني ... ما كنتُ شيئًا بعلم الدين لولاه
هذا الحبيب هو القرآن عشتُ له ... منذ الصِّبا وأنا ولهان أهواه
واليوم أحيا له في الأرض داعية ... حتى يُحقق حكم الله مغزاه
ولم أزل أرتجي حسنَ الختام به ... عساه يشفع لي في يوم ألقاه
من ربع قرنٍ مضى ألقاه في قطر ... فيا سعادة قلبي حين ألقاه!
ألقاه في رمضان الخير مُبتهجًا ... فيُشبع الروح معناه ومبناه
واليوم أحرم من لقياه واأسفَا ... يا للسجين! ولا قضبان تغشاه
وإنما هي أقدارٌ تصرفنا ... من مسَّه الضّر لم تحمله رجلاه!
حمدًا لربي فلا سخط ولا جزع ... ما اختاره من قضاءٍ قد رضيناه

وما قضاه لنا في طيِّه نعم ... منها عرفنا، ومنها ما جهلناه

فإنَما هو تمحيصٌ وتصفية ... وهو الطهور لمثلي من خطاياه

لكن عافية الرحمن أوسع لي ... أنا الضّعيف فما لي غير نعماه!

يا إخوة في رضا ربي عرفتهمو ... في دوحة الخير، يا حياكم الله

هلا بعثتم شعاعًا من مساجدكم ... تلوح منه لنا في «بون» أضواه؟!

فلا أذان ولا قرآن نسمعه ... ولا تراويحنا، واحرَّ قلباه!!

إني لأذكركم في كل أمسيةٍ ... ذكر الغريب بعيد الدار مأواه

كم التقينا على ذكرٍ وموعظةٍ ... وأفضل الذِكر قرآن تلوناه

في موسم الطُهر في رمضان الخير، ... محبَّة الله لا مال ولا جاه

تجمعنا من كل ذي خشية لله ذي ولعٍ ... بالخير تعرفه دومًا بسيماه

جيل على الحبِّ والإيمانِ مُرتبط ... قد عبَّرت عنه أرواحٌ وأفواه

إن أنس أوجههم لم أنس وكلهم ... في نقاء الرُّوح أشباه

قد قدروا موسم الخيرات والاستباقُ هنا المحمود عُقباه

فاستبقوا صاموه قاموه إيمانًا ومُحتسبًا ... أحيوه طوعًا، وما في الخير إكراه

والوقت كالناس منه ما يموت يحيا، فطوبَى لمن بالذِكْر أحياه

وكلهم بات بالقرآن مُندمجًا ... كأنَه الدم يسري في خلاياه

فالأذن سامعة، والعين دامعة ... والروح خاشعة، والقلب أوَّاه

أحببتهم وأحبوني بلا غرضٍ ... إلا لقاء على ربي وتقواه

ما كان لله يبقى دائمًا أبدًا ... رغم الشَّدائد يلقاها وتلقاه

وما يقوم على دنيا ومنفعةٍ ... فسوف ينهار ما لم تبقَ دنياه

شتان ما بين مَن إبليس قائده ... ومَن يقود رسول الله ممشاه

مَـن اهتـدى بهـدى الأخيـار كـان خيـر، وسـار وعـينُ الله ترعـاه
ومَن مشى خلف ركب السَّوء ضاع ضـاعوا، وتـاه بعيدًا مثلما تـاهُوا
هما طريقان ما للنّاس غيرهما كـلّ امـرئ يتـولى مـا تـولّاه
إمَّـا طريـق إلـى الفـردوس بينـة فـي محكـم الـذكر جلتهـا وصـاياه
أو الطريـق إلـى نـار مُسـعَّرة يهـوي إليهـا مـن الشّيطان أغواه
فويـل مَـن يشـتري بالخلـدِ هاويـة وخـاب مَـن بـاع أخـراه بـأولاه
واعجب لمـن سـار فـي درب الهـوى ولـم يقـل سـاعة نـدمان: ويـلاه!
يقول: ربي رحيم سوف يغفر لي قد غرَّه الجهلُ بـالمولى وأغراه
مَـن يعـرف الله يعرفـه برحمتـه وبطشِـه، فهـو يرجـوه ويخشـاه
يا إخوة الصِّدق والإيمانِ في قطر لكـم فـؤادي ومـا ضـمَّت حنايـاه
أنسـيتموني آلامـي بحبكمـو وصادقُ الحب يُنسي المرءَ بلـواه
وبـالهواتف رغـم البعـد تغمرنـي فضـلًا، وذو الفضـل يبـدو فـي
لـولا قيـودٌ مـن الأسـقام قـاهرةَ لطـرت شـوقا إلـيكم يعلـم الله!
مـا حيلـة الطيـر محبـوسٌ ولا لـو رام طيـرًا لخانتـه جناحـاه
لكـم تمنيتُ لـو أقضـي ليـالي مـن شـهر الرِّضـا معكـم أشـتم ريـاه
وكـم حننـتُ لسـجدات أقـول بهـا: سـبحانَ ربـي، وأدعـوه بعُليـاه
ويـا لشـوقي إلـى وتـر القنـوت بـه أدعو الكريمَ الذي عمَّت عطاياه
أدعـوه والـدمع بـالعينين مُختنـق والقلـب محتـرقٌ ممـا شـهدناه
فـي كـل أرضٍ أرى الإسـلامَ فـي مـن أهلـه وبنيـه قبـل أعـداه
تفرَّقـوا شـيعًا والكفـرُ مجتمـعٌ واليوم يبدو الذي قد كان أخفاه
فاجمع إلهي شملَ المسلمين على هـداك وانصـر لمـن للـدين والاه

يـا إخـوتي لـيس لـي مـنكم سـوى هل يخذل الأخ مَن في الله آخاه؟
إذا قـــرأتم وصـــليتَم صـــلاتكم وقـــام قـــائمُكم لله ناجـــاه
وهزّت الأرض بالتّسبيح سجدته وبللـت وجهـه بالـدّمع عينـاه
وراح يـدعو بمـا يحلـو لـه طلبًـا للحســنيين: بــدنياه وأخــراه
فـلا تخلـوا أخـاكم مـن دعـائكمو بظهـر غيـبٍ وسـتر الليـل أرخـاه
ولتشـفعوا لـي إلـى ربـي وربكمـو وادعـوا ليوسـفَ: لا تتركـه ربَّـاه
ادعوه يكشف ضرائي ويغفر لـي فضـلًا، فـلا كاشـفٌ للضـر إلا هـو
ادعـوه يمنحنـي عفـوًا وعافيـة فلـيس أكـرم منـه فـي عطايـاه
ادعوه يقبلني في المخلصين لـه مَـن اسـتقاموا وقـالوا: ربَّنـا الله
وأنـتم القـوم لا يشـقى جليسُـكمو ومَـن شـفعتم لـه يكرمـه مـولاه

* * *

القصيدة الثالثة عشرة

بنت قنا

هذه هي القصيدة الثانية التي عثرت عليها بعد أن اختفت عني 38 سنة، وهي لون جديد من قصائدي، فهي قصيدة غزلية في أنثى هويتها من «بنات قنا»، فهل عرفت مَن هي بنت قنا؟

إنها «القُلَّة» القناويَّة كما يُسميها المصريون. وقد كانت في حجرتي في تلك الفترة التي قضيتُها في ضيافة المخابرات المصرية في مبناها في «سراي القبة»، نظمت هذه القصيدة مُتغزلًا في هذه الأنثى أو هذه القلة، على طريقة الألغاز أو الفوازير، وقد وجدتني رسمت بالقلم الرصاص شكلًا بدائيًّا للقلة، لعله يُنبه القارئ من أول الأمر على ما أريد.

* * *

بنت قنا

أنثـــى تـــروق أخـــا الهيـــام حســـــناء فارعـــة القـــوام
جســـــم رشـــــيق زانـــــه عنـــقٌ حكـــى عنـــقَ النَعـــام
جذابـــــة تُغريـــــك طلـــــ ـــعتها فتـــدنو فـــي اهتمـــام
وتحـــــــس أن لقاءَهـــــا يشـــفي الصَّـــدور مـــن الأوام
وإذا حُرمـــت القـــرب منـــ ـــها فـــالجوانح فـــي ضِـــرام
عُرِفَـــتْ بطهـــر القلـــب لـــم يعلـــق بـــه خبـــثَ اللِّئـــام
يُنبيـــــك ظاهرهـــــا بمـــــا فـــــي قلبهـــا وبـــلا كـــلام
بنـــت الصَّـــعيد كريمـــة مـــن طينـــة القـــوم الكـــرام
قنويَّـــــــة، لكنهـــــــا بيضـــــاء كالبـــدر التّمـــام
قنويـــــة خلعـــت عبـــا ءتهـــا، وألقـــت الاحتشـــام
وكأنّهـــــا بنـــت الزّمـــــا لـــك فـــي السَّـــفور والاقتحـــام
ثـــارت علـــى قعـــر البيـــو تِ، فـــلا تُحـــب بهـــا المقـــام
إلا إذا هجـــــم الشّـــــتا بـــــالبرد يصـــحبه الغَمـــام
فتحجبـــت تلـــك الشَّـــهو ر، وكـــل شـــهر طـــول عـــام
حتـــــى إذا وُلـــــد الربيـــــ ـــع، مـــع الزّهـــور والابتســـام
ودنـــا هجـــومُ الصـــيف، أعـــ ـــجبها الخـــروجُ علـــى الـــدوام
فبـــدت مـــن الشّـــرفات ضـــا حكـــــة تُجاذبـــك الغـــرام
لا تســـــتحي مـــــن وافـــدٍ يرنـــــو إليهـــــا باهتمـــــام
فـــإذا دنـــا منهـــا دنـــت فـــورًا، وأســـلمت الزِّمـــام

ليســـت تـــرد يـــدًا تُـــلا مســـها ولـــو كفـــي غـــلام
تلقـــاك فـــي وضـــح النَهـــا ر وإن أردتَ ففـــي الظـــلام
وإذا اقتربـــــت تريـــــدها وتـــروم منهـــا مـــا يُـــرام
أفضـــت إليـــك بصـــدرِها دون امتنـــــاعٍ أو خصـــــام
وحبتـــك فاهـــا العـــذب تلـــ ـــثمه ولا تخشـــى المـــلام
وتحـــوط كفَـــك خصـــرها وهـــي المطيعـــة فـــي ســـلام
والنـــاس حولـــك ينظـــرو ن يُهنئونـــك بـــاحترام
ومـــن العجائـــب أنَهـــا لتُحـــب مـــن كـــل الأنـــام
حتـــى التقـــي المستقـــ ـــيم بهـــا تعلّـــق واســـتهام
مـــا كفَـــه عنهـــا تُقـــا ه، ولا نهـــاه أن اســـتقام
لا، لا تُســـيئوا الظـــن فهـــ ـــي طهـــورةَ طهـــر الغَمـــام
كـــلا، ولا عرفـــتْ خَنَـــا أو نالهـــا يومًـــا آثـــام
قنويَّـــــة لكنهـــــا رقـــت كأقـــداح المـــدام
هـــي لا تُحـــب ســـوى العشـــ ـــير أخـــي التّلطـــف والوئـــام
إن لـــم تُعاملهـــا برفـــ ـــقٍ قـــد يُفاجئهـــا الســـقام
ولربمـــا منيـــت بجـــ ـــرح لا يكـــون لـــه التِئـــام
والكســـر فيهـــا لـــيس يجبـــره نطاســـــي العظـــــام
ولـــرب عنـــفٍ قـــد يُعـــر ضـــها لأن تلقـــى الحمـــام
مـــاذا دهـــا بنـــت الكـــر ام، ومَـــن رماهـــا بالسِّـــهام؟
كانـــت فتـــاةَ الحـــي ليلـــ ـــى كـــل قـــيس مُســـتهام
ليســـت تُنافســـها هنـــا لـــك «مـــدمزيل» أو «مـــدام»

واليـــوم قـــد أضـــحت تُنـــا زعهـــا بنـــاتُ العـــم ســـام[36]

هـــذي هـــي الـــدنيا، فليـــ ـــــس لكـــــائنٍ فيهـــــا دوام

أعرفـــت مَـــن أعنـــي؟ لعلـــ ـــك قـــد فهمـــتَ مـــن المقـــام

قـــل لـــي: أ«بنـــت قنـــا» تـــرى أم يـــا تـــرى بنـــت الحـــرام؟

* * *

(36) المقصود: الثلاجات الأمريكية ونحوها.

القصيدة الرابعة عشرة

الفراق الطويل

قلتها في رثاء الأخ الصديق الصدوق، شقيق الروح، ورفيق الدرب والسكن والدراسة والدعوة والمحنة، محمد الدمرداش مراد، في يوليو 1962م، وقد اختفت هذه القصيدة حتى حسبتها فيما ضاع من شعري، ثم عثرت عليها فجأةً في كرتونة في مكتبتي بالقاهرة في 2000/8/12م مع قصيدة أخرى كنت نسيتُها تمامًا، فكانت فرحتي بهما فرحة مَن وجد ضالةً عزيزة عليه، بعد أن يئس منها، وبعد ثمانية وثلاثين عامًا.

أنشأت هذه القصيدة في ظروف خاصة، فقد أُعِرتُ إلى قطر سنة 1961م، وبعد انتهاء العام الدراسي عدت إلى مصر في صيف 1962م، في منتصف شهر يونيو، لأفاجأ بمرض أخي وصديقي محمد الدمرداش سليمان مراد، الذي زرته في مستشفاه فوجدتُه مصابًا بشلل كلي، لا يكاد يتحرك فيه غير قلبه النَّابض، وعينيه، ويكاد لسانه لا ينطق، وودعته لأسافر إلى قريتنا للسلام على الأهل، ثم أعود إليه، لأتفرغ له، فسرعان ما بلغني وفاته، وأنا في قريتي، فذهبت إلى قريته «السملاوية» للعزاء، وكنت في حاجة إلى مَن يُعزيني، فلعلي كنت أشد من تأثر بموته.

وعدت إلى قريتي لأفاجأ باستدعاء لي من المباحث العامة بطنطا، ليبعثوني إلى القاهرة، فيُسلموني من مكان إلى مكان، حتى استقررتُ في مكان لم أعرفه من قبل، ليس هو السجن الحربي، ولا سجن القلعة، ولا سجن

القناطر، ولا سجن مصر، إنَّه مبنى المخابرات المصرية، وكان معي أخي وصديقي أحمد العسال رحمه الله، وإن لم يرَ أحدنا الآخر، فقد عزلونا، كلًّا منا عن أخيه في سجن انفرادي، وبعد سبعة أسابيع أفرجوا عنا.

في هذه الفترة أنشأتُ ثلاث قصائد، إحداهن نشرتها بعد فترة وجيزة، وهي قصيدة «ثورة لاجئ» المنشورة في هذا الديوان. والثانية هي هذه القصيدة، والثالثة قصيدة «بنت قنا». وإلى القصيدة الجديدة في رثاء أخي الدمرداش رحمه الله.

* * *

الفراق الطويل

كـان يومًـا مقطـب الوجـه أسـود ... يـوم قـالوا: مـات الحبيـب محمـد!
غـرق الوجـهُ بالـدموع، وكـاد الـ ... ـقلـب مـن فـرط مـا بـه يتجمـد
وتهاويـتُ مُثخنَـا مثـل طيـر ... هـاضَ منـه الجنـاح سـهم مُسـدد
غلبـتُ روعـة المصـيبة صـبري ... ويقينـي، مـا اسـتطعتُ أن أتجلـد
كيف لا؟ والحبيبُ قد ودعته اليـ ... ـوم وداعًـا لا يعـرف «العـود أحمـد»
فـرَّق المـوتُ بيننـا، يـا أسـى قلـ ... ـبٍ لطـول الفـراقِ لـم يتعـود
يـا لحظـي!! أأفقـد الأم والـوا ... ـد حتـى أخـو شـبابي يفقـد!
يا لحظي!! أخي الذي كان درعي ... في خُطوبي، وكان سيفي المُهَنّد
ربّ عفوًا! ما منك أشكو، ولكن ... غلـب الصـدرَ حزنَـه فتنهـد
حكمـة الله فـوق أوهـام عقلـي ... ولسـانُ السـماء والأرض يشـهد
ربّ، آمنـتُ بالقضـاء، فهـب لـي ... من لدنك الرِّضا، لأقوى وأصمد
حـاشَ لـي أسـخط القضـاء، ولكـن ... مـا خلقـت الـذي بصـدري جلمـد
أنـت عوَّضـتني بـه عـن أخ الـد ... ـم فكـان الأخ الشـقيق وأزيـد
كـان مُسـتودعًا لسـري مـن آ ... لام أمـس مضـى، ومـن حلـم الغـد
إنّهـا لـم تكـن صـداقة أعـوا ... ـم ولكنّـه إخـاء تجسَّـد
مـا رآنـي يومًـا سـعيدًا فيأسـى ... أو رآنـي يومًـا حزينًـا، فيسـعد
يبسـم الـدهر لـي، فيطـرب كالبلـ ... ـبل فـوق الأغصـان غنّـى وغـرد
ويصـيب الزّمـان قلبـي بسـهم ... فكـأنّ الرامـي إليـه تعمـد
كنـتُ منـه وكـان منـي كشـخص ... قد تسمَّى بـ «يوسف» و«محمد»

فهو يبدو في صورتين وباسميـ ـن وخلف الرسمين روح مفرد

* * *

لهف نفسي على فتى عاش للـ ـه وللدين صارمًا ليس يغمد
عاش للخير ساعيًا غير وانٍ عاش للحقِّ جمرةَ ليس تخمد
عاش للمجدِ والمعالي طموحًا ودّ لو يمتطي السَّحاب فيصعد
عاش في ساحة الفضيلة جنديـ ـا وفي حلبة الشَّهامة أوحد
خُلَق القرية الأصيلة فيه قبل غزو القرى بما ليس يُحمد
يا عضالاً حار الأطباء فيه أرقد الفارسَ الفتى شر مرقد
ليس فيه من الحياةِ سوى قلـ ـب بصدر أنفاسه تتردد
وفم قبل كان يهدر بالفصـ ـحى تراه ما عاد يرغي ويزبد
ثم عين فيها بريق، ولكن قبل كانت شرارةَ تتوقد
أين باقي الفتى، لقد مات منه! بدن هامد، وحس تبلد
قدرُ الله أعجز الطَّب فار تد حسيرًا يقول: ما لي من يد
قل لذاك المغرور بالعلم: ما يفـ ـعل العلم، والردى لك مرصد؟
فجر الذر شامخًا، ثم طأطئ عند سر الحياة هذا المعقد

* * *

القصيدة الخامسة عشرة

بشرى ودعاء

مهداة إلى المولود الحبيب: يوسف غالب همت

زَفـت البُشـرى بمـيلاد سَـمِيِّي بالحبيب بن الحبيب.. ابن علـي
«يوسف» الحسن، وأكرم باسمه هـو نعـم الفـرع للأصـل الزّكـي
إرثـه «الإيمـان» و«الهمـة» مـن أبويـه، نعـم ميـراث الصـبي
جـاء والأفـراح فـي أقدامـه مرحبًـا بـاكورة الغيـث الهنـي
يقـرأ المكتـوبَ مـن عنوانـه ويـرام العطر فـي الـورد الشّـذي
ربّ أنبتـه نباتًـا حسـنَا وأعـذه مـن حسـودٍ وغـوي
رب، واحرسـه وبـارك خطـوه واحمـه مـن كـل جبـار عتـي
وارعـه، وارع أخـاه «ياسـرًا» والشّـقيقات شـذا الـروض النـدي
وبعـد عصـر المبكيـات العربـي مـن مضـلات الزمـان السـامري
اجعـل الـدنيا لهـم ضـاحكة مـا عجزنـا عنـه مـن حلـم قصيما
كـم سـمي لـك فـي تاريخنـا حبـاك الله بـالعزم الفتـي
واحْبُ هذا الجيل نصرًا ينجزوا فـي رضـا الله، وفـي هـدي النبـي
«يوسـف» المرجـو لا تـنسَ إذا مـا حبـاك الله بـالعزم الفتـي
أنـك ابـن الـدين والتقـوى، فسـر فـي رضـا الله، وفـي هـدي النبـي
كـم سـمي لـك فـي تاريخنـا مـن نبـي، وزعـيم عبقـري
فـاقتبس مـنهم، وخـذهم أسـوةَ لـك فـي الإيمـان والخلـق الرَّضـي

مــن فتــى أيــوب[37] خــذ روح وفتى يعقوب[38] خذ صبر التقي

* * *

الأناشيد

النشيد الأول: يا سجون اشهدي.

النشيد الثاني: مسلمون.

النشيد الثالث: نشيد العودة.

النشيد الرابع: فتى القرآن.

النشيد الخامس: الله أكبر.

النشيد السادس: أنا المسلم.

* * *

---

(37) هو يوسف صلاح الدين الأيوبي.

(38) هو سيدنا يوسف الصديق ابن يعقوب –عليهما السلام.

تقديم

النشيد قوة روحية يُفيضها الله على مَن يشاء من عباده.. وهو جزء هام من حياة الناس.. تشدو به الشعوب، وتترنم عليه الأجيال، وتطرب لسماعه النفوس، ويتربى عليه الشباب.. وإذا انطوى النشيد على هدفٍ سام وغاية نبيلة، كان حيًّا فياضًا يحرك المشاعر وينبه الغافل.. لا كلمات ميتة تنطق بها الشفاه، وتبح بها الأصوات.

وما أجمل النشيد حين ينظم للشباب.. يذكي فيهم شعلة الإيمان، ويثير في نفوسهم الحماسَ، ويدفعهم إلى العمل بإخلاص.. فينطلقون بإيمانٍ لا يتزعزع، وعمل لا يتوقف.. يحملون الرايةَ، ويتقدمون الصفوف.. غايتهم رضوان الله، وأمنيتهم الشهادة في سبيله.

لقد نظم الدكتور القرضاوي هذه الأناشيد للأجيال المسلمة.. فتلقفها الشبابُ في كل مكانٍ، وانطلق يشدو بها في كلِّ بلد.. فأيقظت القلوب بالإيمان، وأشعلت فيها جذوة الجهاد.. وحرَّكت النفوس إلى العمل، وأنارت للعاملين درب الكفاح.

* * *

النشيد الأول

يا سجون اشهدي

المؤمنون في هذا الزمان أشد الناس ابتلاءً وأكثرهم صبرًا على الأذى في سبيل دعوتهم.. ولقد تعرض أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة إلى صنوف شتَّى من العذاب والابتلاء، وشهدت سجون الطَّواغيت صمودهم وثباتهم على الحق.

نظم الشاعر هذا النَّشيد عام 1949م ليكون رمزًا لهذا الثَّبات، وعنوانًا على الإباء والصُّمود.

* * *

يا سجون اشهدي

مرحبًـــا بـــالحراب مرحبًـــا بالسُّـــجون

فـــى ســـبيل الكتـــاب كـــل شـــيء يهـــون

إننـــــا لا نهـــــاب كـــلَّ مـــا يوعـــدون

كيـف نخشـى العـذابَ ومنانـــــا المنـــــون

حســـبنا يـــا شـــباب أننـــــا مُؤمنـــــون

نحـــن جنـــد الإلـــه ولـــــه مســـــلمون

همُّنـــا فـــى رضـــاه لأننـــــا لا نخـــــون

لا نبـــــالي ســـــواه كائنَـــا مَـــن يكـــون

فاقبســـوا مـــن هـــداه أيهـــــا الحـــــائرون

وانهضـــوا للحيـــاه أيهـــــا النَّـــــائمون

يـــا ســـجون اشـــهدي قســـوة الظـــالمين

واذكـــــري للغـــــد صـــبر أهـــل اليقـــين

فتيـــــة المســـــجد وحمـــــاة العَـــــرين

كلهـــــم مُقتـــــدٍ بالرســـول الأمـــين

صـــــامد مهتـــــدٍ لا، ولـــن يســـتكين

* * *

النشيد الثاني

نظم الشاعر هذا النَّشيد عام 1383هـ؛ ليتربى عليه الشباب، وليرد الإنسان العربي إلى جذوره الأصيلة.. ويجمع الأمة الإسلامية تحت هذا الشعار..

وقد حظي هذا النشيد بانتشار واسع في أرجاء العالم الإسلامي.. وانطلق به الشباب يهتفون ويرددون.

مسلمون مسلمون مسلمون حيث كان الحق والعدل نكون

فعمل على إيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، ورد الشاردين.

وقامت بنشره مجلة «الحق» التي يصدرها المعهدالديني في قطر عام 1384هـ، وعدد من المجلات في أنحاء العالم الإسلامي.

كما تم نشره وتقديمه في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» –المجموعة الأولى عام 1402هـ/1982م.

* * *

مسلمون[39]

مسلمون مسلمون مسلمون حيث كان الحقَّ والعدل نكون

نرتضي الموت ونأبى أن نهون في سبيل الله ما أحلى المنون[40]

نحن صممنا وأقسمنا اليمين أن نعيش أو نموت مسلمين

مستقيمين على الحق المبين متَحَدِّين ضلال المبطلين

جاهدين أن يسود المسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون .....

نحن بالإسلام كنا خير معشر وحكمنا باسمه كسرى وقيصر

وزرعنا العدل في الدنيا فأثمر ونشرنا في الوَرَى «الله أكبر»

فاسألوا إن كنتمو لا تعلمون

مسلمون مسلمون مسلمون .....

سائلوا التّاريخ عنا ما وعى من حمى حقّ فقير ضيعا

مَن بنى للعلم صرحًا أرفعًا؟ مَن أقام الدين والدنيا معا

سائلوه، سيُجيب: المسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون .....

نحن بالإيمان أحيينا القلوب نحن بالإسلام حررنا الشعوب

نحن بالقرآن قوَّمنا العيوب وانطلقنا في الشمال والجنوب

---

(39) «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى (ص26).

(40) المنون: الموت.

ننشر النور ونمحو كل هون[41]

مسلمون مسلمون مسلمون .....

نحن بالأخلاق نوَّرنا الحياه نحن بالتوحيد أعلينا الجباه

نحن بالبتّار أدبنا الطغاه نحن للحق دعاة ورعاه

ذلكم تاريخنا يا سائلون

مسلمون مسلمون مسلمون .....

يا أخي في الهند أو في أنا منك، أنت مني، أنت بي

لا تسَلْ عن عنصري عن إنه الإسلام أمي وأبي

إخوة نحن به مؤتلفون

مسلمون مسلمون مسلمون .....

قم نعد عدل الهداة الرَّاشدين قم نصل مجد الأباة الفاتحين

شقي الناس بدنيا دون دين فلنعدها رحمة للعالمين

لا تقل: كيف؟ فإنا مسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون .....

يا أخا الإسلام في كل مكان قم نفك القيد، قد آن الأوان

واصعد الرَّبوة، واهتف وارفع المصحفَ دستور

واملأ الآفاق: إنا مسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون حيث كان الحق والعدل نكون

نرتضي الموت ونأبى أن في سبيل الله ما أحلى المنون!

---

(41) الهون: الخزي والعار.

* * *

النشيد الثالث

نشيد العودة

العودة إلى فلسطين يقين عند كل مسلم.. وبهذا اليقين الإسلامي الراسخ نظم الدكتور القرضاوي نشيدًا للعودة.. لينشده الشباب ويتربى عليه جيل النصر المنشود، ويتغنى به العائدون.. لأن العودة بالنسبة للمؤمنين أمر حتمي وقضاء إلهي، وبشرى من رسول الله صصص تضيء لنا طريق هذه العودة الظافرة.

كان نظم هذا النشيد عام 1384هـ عندما أقامت أسرة الشهيد عبد القادر الحسيني بمدرسة قطر الإعدادية ندوة شعرية عن الدرة المغتصبة «فلسطين» بمناسبة انتهاء حكم الأسرة للمدرسة، ودعت فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي ليسهم في هذه الندوة الحافلة، فألقى كلمةً ختمها بهذا النشيد.

وقامت بنشره مجلة «الحق» التي يُصدرها المعهد الديني الثانوي بالدوحة في عددها الرابع عام 1385هـ.. كما تم نشره وتقديمه في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى عام 1982م.

* * *

نشيد العودة[42]

أنـا عائـدٌ أقسـمت أنـي عائـد والحــق يشــهد لــي، ونعــم الشـــــــــــــــــاهد
ومعي القذيفة والكتاب الخالد ويقودني الإيمـان، نعم القائـد

* * *

أنـا قد مللتُ الشعر يندب نكبتي ورفضت أسمع غير شعر الثورة
فدعوا النَحيب فليس يُرجع بلدتي إلا زئيــر النـــار يـــوم الغـــارة

* * *

لغـة الـدّما لغتـي، ولـيس سـوى أنا عن فنون القول أغلقتُ الفما
الـــــــــــــــــــــــــدّما
وتركـــتُ للرشـــاش أن يتكلمـــا ليحيــل أوكـــار العــدو جهنمـــا

* * *

صـــنم المخـــاوف والهـــوى ورتيب عيشي عفتـه وسئمته
حطَّمتُـــــــــــــــــــــــــــــه
والحقـد فـي صـدري المغـيظ حتـى ينفس عنـه مـا صممته
كتمتُـــــــــــــــــــــــــــــه

* * *

يـا ثالـث الحرمين يـا أرض الفِدا آليــتُ أجعـل منـك مقبـرةَ العِـدا
ذُقتُ الـرَّدى إن لـم أعد لـك سيدا طعـــم الـــــردى دون الحيـــــاة
(43)

* * *

---

(42) «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى (ص118)، الطبعة الأولى، دار الفرقان.
(43) أي: إنني أفضل أن أذق طعم الردى على أن أعيش حياة التشرد.

أنـا لا أهـاب المـوتَ إن هـو أقـبلا بـل أسـتحث لـه خَطـاي مُهـرولا

فهـو السَّـبيل لنصـر شـعبٍ مُبتلـى ووراءه الفـردوس طابـت منـزلا

* * *

يـا إخـوتي هبـوا ليـوم الموعـد هذي يدي فضعوا يديكم في يدي

لا تـذكروا لـي الأمـس، نحـن مـع الغَـــــــــــــــــــــــــــد ولنـا صـلاح[44] قـدوة، فلنقتـد

* * *

(44) صلاح الدين قائد حركة حطين، وفاتح المقدس.

النشيد الرابع

فتى القرآن

القرآن الكريم كتاب الله إلى جميع الخلق، ووحي السماء إلى الذين يعيشون على الأرض.. وهو الهدى الذي يتربى عليه فتية الإسلام، والنور الذي يستمدون منه القوة، والضياء الذي يبدد لهم الظلام.

وإلى كل فتى نشأ في طاعة الله، وتربى على تعاليم القرآن، وسار في طريق الدعوة إلى الإسلام، نظم الشاعر هذا النشيد.. ليكون زادًا يغذي الروح ويفيض على النفس ويزكي القلب ويدفع إلى العمل.

وتم نشره في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى عام 1982م.

* * *

فتى القرآن[45]

أنا إن سألت القوم عني: من أنا؟ أنا مؤمن سأعيش دومًا مؤمنَا!
فليعلم الفجار أني هاهنا لن أنحني، لن أنثني، لن أركنا!
إني رأيت الله في أكوانه وسمعت صوت الحق في قرآنه
ولمست حكمته وفيض حنانه في سيرة المختار.. في إيمانه
أنا مسلمٌ، هل تعرفون المسلما؟ أنا نور هذا الكون إن هو أظلما!
أنا في الخليقة ري مَن يشكو الظما وإذا دعا الداعي أنا حامي الحمى!
أنا مصحف يمشي، وإسلام يرى أنا نفحة علوية فوق الثرى
الكون لي ولخدمتي قد سخرا ولمن أنا؟ أنا للذي خلق الوَرَى
أنا من جنود الله حزب محمد وبغير هدي محمدٍ لا أهتدي
حاشاي أن أصغي لدعوة مُلحد وأنا فتى القرآن وابن المسجد!!
أنا كوكب يهدي القوافل في السَّرى وأنا الشِّهاب إذا رأيت المنكرا
ما لي سوى نفس تعز على الثَّرَى قد بعتُها لله، والله اشترى

* * *

(45) «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى (ص137).

النشيد الخامس

الله أكبر

نظم الدكتور القرضاوي هذا النَّشيد عام 1402هـ ليكون هتافًا لكل مسلم، وصيحةً لكل مجاهد، وأُنْسًا لكل مظلوم، وردعًا لكل ظالم.. فالله أكبر، نداء المسلمين في كل صلاة، وصيحة المجاهدين في كل معركة، وعون للمظلومين على الظالمين.. والله أكبر تسبيحة العابدين، وأنشودة الفاتحين، واستغاثة الملهوفين.

* * *

الله أكبر

الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر تســـبيحة العابـــد المطهـــر
الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر أنشـــودة الفـــاتح المظفـــر
الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر بهـــا دككنـــا حصـــونَ خيبـــر
الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر بهـــا ورثنـــا كســـرى وقيصـــر
الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر ومـــا ســـوى الله فهـــو أصـــغر

الله أكبر.. الله أكبر

فـي مطلـع الفجـر.. فـي المسـاء فـــي الظهـــر. فـــي العصـــر. فـــي العشـــــــــــــــــــــــــاء
نقـــــرب الأرض للســـــماء مـــــرددين أقـــــوى نـــــداء

الله أكبر.. الله أكبر

عنـــد التنـــادي إلـــى الجهـــاد يـــوم التلاقـــي مـــع الأعـــادي
فـــوق الروابـــي وفـــي الوهـــاد نزلـــــزل الأرض إذ ننـــــادي

الله أكبر.. الله أكبر

أحلـــى نشـــيد، فـــي يـــوم عيـــد الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر
أول صـــــوتٍ لـــــدى الوليـــــد الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر
بـــدء الصـــلاة نـــور الوجـــود الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر
عنـــد الركـــوع، عنـــد الســـجود الله أكبـــــــر، الله أكبـــــــر

الله أكبر.. الله أكبر

* * *

النشيد السادس

أنا المسلم

في هذه الفترة التي نعيشها من تاريخ أمتنا بدأت صحوةً إسلاميةً مباركةً تدب في أوصال الشَّباب في كل ركنٍ من أركان العالم الإسلامي.. وأصبح هذا الشباب حديث الناس في كل مجتمع ونادٍ.

إلى هذا الشباب المسلم الذي بدأ يعي ذاته، ويتعرف طريقه، ويعيش للإسلام ودعوته، ويهتم بقضايا أمّته.. نظم الشاعر هذا النَّشيد عام 1402هـ ليكون توجيهًا لمسيرتهم الميمونة، وحداءً لهم في صحوتهم المباركة.

* * *

أنا المسلم

نشيد لشباب الصحوة الإسلامية

أنـــا المســـلم.. لا أرجـــو ولا أخشـــى ســـوى ربـــي
عزيـــز الـــنفس.. لا أحنـــي لغيـــر الله مـــن صـــلب
ســـليم القلـــب لا أحمـــل للنـــاس ســـوى الحـــب
غزيـــر الـــدمع فـــي المحـــرا ب، ليـــث الغـــاب فـــي الحـــرب
أنـــــا درع لأوطـــــاني أنـــا حـــامي حمـــى الشـــعب

أنا المسلم.. أنا المسلم

أنـــا المســـلم.. دســـتوري ومنهـــاجي كتـــاب الله
وقائـــد دربـــي الهـــادي محمـــدنا رســـول الله
وداري مـــوطن الإســـلا م مـــا دوَّى نـــداء الله
وأهلـــي أمَّـــة الإســـلا م، هـــم حزبـــي وحـــزب الله
وزادي -بعـــد توحيـــدي ونعـــم الـــزّاد- تقـــوى الله

أنا المسلم.. أنا المسلم

أنـــا بالعـــدلِ والإحســـا ن مـــأمورٌ وأمَّـــار
أنـــا نبـــع لكـــل النـــا س بـــالخيرات فـــوَّار
رحـــيم القلـــب، لكنـــي علـــى الطـــاغين جبـــار
أنـــا كالمـــاء رقـــراق أنـــا كالســـيف بتـــار
أنـــا نجـــم.. أنـــا رجـــم أنـــا نـــور.. أنـــا نـــار

أنا المسلم.. أنا المسلم

أنـــا المســـلم قلبـــي خـــا فـــق دومًـــا بحـــبِّ الله

وأقـــــوالي وأعمـــــالي أعطرهـــــا بـــــذِكر الله

فباســـــم الله أبـــــدؤها وأختمهـــــا بحمـــــد الله

وهمـــي فـــي الحيـــاة هـــدا يـــة الـــدنيا لـــدين الله

فعييـــــى، إن أعـــــش لله ومـــوتي فـــي ســـبيل الله

أنا المسلم.. أنا المسلم

* * *